نصيحة وتذكير

تأليف الدكتور
عماد علي عبد السميع حسين
دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

لِمَ تقولون ما لا تفعلون ؟

تقديم
أ.د عابد منصور عابد
أستاذ العقيدة الإسلامية بجامعة الأزهر
وعضو رابطة العالم الإسلامي

تقديم
أ.د محمود مهني محمود
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
ونائب رئيس جامعة الأزهر بأسيوط

تقديم
فتحي عبد الحميد مرعي
مدير عام منطقة الوعظ بأسيوط

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط الديني
ش: ٥٤٥١١٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩


بسم الله الرحمن الرحيم

لِمَ تقولُون
مَالاَ تفعَلُون ؟

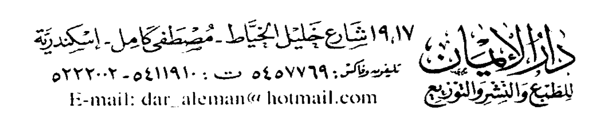


رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٦٥٤٣

الترقيم الدولي
977-331-435-9







الإهداء

إلى دعاة الأمة الإسلامية

أسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياهم صدق القول والعمل وإخلاصه ، وموافقته كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ

محبكم في الله

عماد علي عبد السميع حسين

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

تصدير

[١] قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة : ٤٤] .

[٢] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف : ٢ – ٣] .

[٣] وقال رسول الله ﷺ : « يُجاءُ بالرَّجُل يومَ القيامة فيُلْقَى في النَّارِ فتندلق أقْتَابُهُ في النَّار، فيدُورُ كما يدورُ الحمارُ برحَاهُ ، فيجتمع أهلُ النار عليه فيقولون :أيْ فُلان ما شأْنُكَ ؟ ، أليس كُنْتَ تأمُرُنَا بالمعروف وتنهَانَا عن المُنْكَرِ، قال كُنْتُ آمُرُكُم بالمعروف ولا آتيهِ، وأنهاكُمْ عن المنْكَرِ وآتيه » .

البخاري برقم (٣٢٦٧) .

[٤] **قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :**

(لو كَانَ العلم ينفعُ بلا عملٍ ما ذَمَّ الله أحبار بني إسرائيل ، ولو كان العمل ينفع بغير إخلاصٍ ما ذَمَّ الله المنافقين) [الفوائد ص ٣٥] .



تقريظ بقلم أ.د/ محمود مهني محمود
نائب رئيس جامعة الأزهر بأسيوط

الحمد لله كثيراً،وسبحان الله بكرة وأصيلاً ،سبحانه نزل القرآن تنزيلاً ، وفصله تفصيلاً، سبحانه ليس أحد أصدق منه قيلا،والصلاة والسلام على من اصطفاه ربه للناس هادياً ودليلاً، ورفعه منزلاً جليلاً، واتخذه حبيباً وخليلاً، فصلَّى الله تعالى وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار الأبرار وصحبه الكرام ومن سلك الطريق إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الإسلام هو الدين العالمي الوحيد الذي اهتم بالعلم وكرَّم العلماء،ونادى بالثقافة المرنة يوم أن كانت الأمم في جاهلية جهلاء، سادرةً في لهوها وغيِّها، بعيدة عن هَدْي السماء ومن ثمّ فقد كان أول هدى السماء نزولاً ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** (١) ﴾ [العلق : ١] ، ومن بعدها أقسم الله ـ عز وجل ـ بالقلم وأدوات الكتابة ليحض الناس على التعلم فقال:﴿ **نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** (١) ﴾ [القلم : ١] ، ويوم أن كان غيرنا يحتقر العلم ويذل العلماء جاء إسلامنا فرفعهم إلى منزلة سامقة فكانوا مع الشاهدين بوحدانيته سبحانه ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾ [آل عمران : ١٨] ، وذكر أنهم أكثر الناس معرفة بالله ودليل ذلك أنهم يخشونه ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقد شهد تاريخ الإسلام المجيد كثيراً من أولئك الذين يخشون ربهم ويحاذرون كل الحذر أن يُساءلوا عن علمهم وماذا عملوا فيه؟ ، هل حصلت لهم

به الخشية؟ ، هل انتفعوا به؟ ، هل أمروا ولم يأتمروا ونهوا ولم ينتهوا؟ .

وكتب التراجم حافلةً بالمئات من أولئك الذين نحسبهم بلغوا الغاية من الإخلاص، ولكن لتواضعهم كانوا يتهمون أنفسهم بالنفاق فسفيان الثوري رحمه الله كان يقول : (إنَّا لَسْنَا بالفقهاء، وإنما سمعنا شيئاً فرويناه ، إنما الفقيه الذي يَعْلَم فيَعمَل) .

ولازال والحمد لله ـ برغم فساد الحال ـ من بيننا من يهتمون بالإصلاح ويسعون فى أداء واجب النصيحة، وأحسب أن ابننا الدكتور / عماد على عبد السميع واحداً من أبرز هؤلاء ، فهو الذي وهب نفسه للدعوة بأسلوب أدبي رصين، وبيان رفيع، عميق الفكرة عظيم التأثير، ومن أجل ذلك كان له مريدوه والذين أحبوه فى الله ، من أجل حفظه لكتاب الله عز وجل ، وإلمامه بسُنَّة رسول الله ﷺ .

فكوَّن مدرسة من المحبين، وجيلاً من المخلصين، الذين يستمعون منه الفقه والتفسير والحديث والقصص والاستنباطات المنهجية التي تتفق وروح الإسلام .

ويبدوا من إخلاصه هذا الكتاب الذي أعمَلَ فيه فِكْرَه وروحه الملتزم بالكتاب والسُّنَّة، فتناول فيه نفسه وسائر إخوانه الدعاة وناداهم بأن يكون العلم مقترناً بالعمل ، حتى لا نكون كالذين نادهم المولى عز وجل : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [البقرة : ٤٤] .

وقال : ﴿ **لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف : ٢] .

وقد حشد ابننا الكاتب فى كتابه هذا الكثير من الشواهد والبراهين على ذم مخالفة القول للعمل، سواء من القرآن والسُّنَّة وأقوال وأشعار الحكماء وفوائدهم،

لعله أن يكون في ذلك ما يحرك القلوب التي أَلِفَتْ القول كشهوة وحظها من العمل قليل، أسأل الله أن يجزيه خيراً، وأن يوفقنا لما يرضيه عنا .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبـــه

أ . د/ محمود مهني محمود

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

ونائب رئيس جامعة الأزهر بأسيوط

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين



تقديم بقلم الأستاذ الدكتور / عابد منصور عابد
أستاذ العقيدة الإسلامية جامعة الأزهر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المرسل للناس جميعاً بالآيات البينات وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

لقد اطلعت على رسالة الابن البار العلامة الدكتور / عماد عليّ عبد السميع والتي عنوانها **[نصيحة وتنبيه : لِمَ تقولونَ ما لا تفعلون]** وهى رسالة قيمة أصابت كبد الحقيقة ـ كما يقولون ـ يترتب عليها صلاح وسعادة وفلاح، حيث أن الرسالة تتسم بالحكمة . والحكمة ضد السَّفَه، فهي تحذير من مخالفة القول للعمل . والحكمة تبنى بيتها كما ورد في القديم .

■ وقد شَيَّد الباحث أركان رسالته بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي وأقوال العلماء والحكماء والشعراء والدعاة المخلصين ــ وأحسبه واحد منهم ــ فجاءت رسالته على نحو يستفيد منه الباحثون ، ولا يستغنى عنه المبتدؤن وكاتبُ الرسالة من العاملين فى حقل الدعوة ، ومن الأئمة المتميِّزين فى مجالهم .

■ والدعاة في هذه الأيام فى أمس الحاجة إلى مثل هذه الرسائل التي تحوى أفكاراً تهدف إلى سعادة الأمة وفلاحها.

■ وقد سَعِدتُ بالإطلاع على هذه الرسالة، واستفدتُ منها، ونتمنى للكاتب مواصلة الكتابة والبحث، فالأمة بحاجة إلى أبنائها المخلصين .

والله تعالى أسأل أن يوفقه ويسدد خطاه وأن يجزيه عن علمه وعمله خير

الجزاء ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والله من وراء القصد .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبـــه

أ- د/ عابد منصور عابد

أستاذ العقيدة الإسلامية بجامعة الأزهر

وعضو رابطة العالم الإسلامي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

تقريظ بقلم فضيلة الشيخ / فتحي عبد الحميد مرعي

مدير عام منطقة الوعظ بأسيوط

الحمد لله الذي سهل طريق السعادة للدعاة الناصحين، ويسَّر سبل الهداية للمؤمنين الصادقين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، الذي بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

وبعد :

فإن عز الدعوة من عزة الله ، ومجدها من مجده، فهي أشرف الرسالات وأنبل الغايات، وأمثل مقصد وأقوم سبيل ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)** ﴾ .

[الأنعام : ١٥٣] .

وهى رسالة الأنبياء والمرشدين، وشيمة الدعاة المخلصين، وشعار الهداة المرشدين، وحلْيَة العلماء العاملين، قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)** ﴾ .

[آل عمران : ١٠٤] .

وكفى الدعاة شرفاً أن لهم فى الإسلام منزلة سامية تلي منزلة الأنبياء قال ﷺ : « **العلماء ورثة الأنبياء** » (١) .

وعن أبى إمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي على أدناكم رجلاً** » .

وقال ﷺ : « **إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض، حتى النملة**

(١) رواه أبو داود والترمذي .

في جحرها ، وحتى الحوت في البحر ليصلون على مُعَلِّم الناس الخير) [١] .

وأحسب أن أخي الدكتور الشيخ / عماد علي عبد السميع من هؤلاء الدعاة العاملين المخلصين، وقد شرفني أن أكون تلميذاً في المدرسة التي أصبح الآن رائداً فيها، وصار له في الناس أثر طيب وذِكْر حميد .

وقد خط قلمه – بتوفيق من ربه – هذه الرسالة العظيمة التي يُحذِّر فيها دعاة الأمة من مخالفة القول للعمل، فكان حكيماً في منهجه، والحكماء قليل، بصيراً بالعيوب التي ألمت ببعض الدعاة، فجاءت رسالته شافية، وهي شعلةٌ من النور تضيء للداعية سُبُل السعادة في الدنيا والآخرة، وذلك لما جاء فيها من نفيس الْكَلِمِ ، وبراعة التحليل وغزارة المادة العلمية التي تبرهن على ذكائه ورجاحة عقله .

قام الشيخ يوجه نصيحة المحب لإخوته، محذراً لهم من مخالفة القول للعمل، لأن الداعية الذي يخالف قوله فعله ومظهره مخبره دعوته غير مُؤثِّرة، ولا يرجى منها خير، فعلماء السّوء جلسوا على أبواب الجنة ، ينادون الناس إليها بأقوالهم، ويبعدونهم عنها بأفعالهم، فإذا قالت أقوالهم هَلُمُّوا ، قالت أفعالهم لا تسمعوا لهم، فلو كان الذي يدعون إليه حقاً لكانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق .

إخوتي وزملائي الدعاة :

محادثة الإخوان حياة للقلوب، وجلاء للنفوس وتذكير من النسيان ، فالدنيا سرورها أحزان، وإقبالها إدبار . . فكم من مُستَقْبِلٍ يوماً لا يستكمله،ومنتظر غداً لا يبلغه ، ولو نظرتم إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره . بهذا الفهم كتب

---

(١) رواه الترمذي .

الشيخ وعلى الله توكل ملتزماً قول ربه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾ .

[هود : ٨٨] .

أخي الشيخ عماد : زادك الله علماً وعلمك ما لم تعلم، وجمع بك، وحقَّق لك مرادك فى مرضاة ربك ، والحمد لله أولاً وآخراً .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

فتحي عبد الحميد مرعي

مدير عام منطقة الوعظ بأسيوط

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ؛ سبحانه علم الإنسان ما لم يعلم ، وفضل الذي يعلم على الذي لا يعلم ، وجعل فضل العالم على الجاهل كفضل السماء على الأرض ، وأخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه ، والصلاة والسلام على خير من قيل له ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾[النساء : ١١٣] .

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى أشرف الأعمال على الإطلاق ، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (٣٣) ﴾ .

[فصلت :٣٣] .

وهذا العمل يحتاج في أدائه إلى وسائل، من أهمها وسيلة الوعظ، وهى التذكير ، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وقد استخدمها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فى دعوة الناس إلى الله رب العالمين، .

قال تعالى آمراً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ** ﴾[سبأ : ٤٦] ، ووعظ الأنبياء والرسل قبل محمد ﷺ فمن الناس من استجاب لوعظهم ومنهم من قال : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ** (١٣٦) ﴾[الشعراء : ١٣٦] .

بل إن الله تعالى يعظ عباده ويذكرهم كما جاء فى قصة الإفك قال تعالى: ﴿ **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (١٧) ﴾ [النور : ١٧] .

ومعلوم أن الدعاة إلى الله تعالى ـ وخصوصاً المخلصين منهم ـ لا يألون جهداً

في تذكير الناس ووعظهم، لأنهم يعلمون أنها أمانة وجبت لله عليهم في خلقه، لذلك يُلقى ـ الله عز وجل ـ باللائمة على الموعُوظين، ويبين أن فسادهم ليس لأن الوعاظ لم يعظو ولكن لأن الناس سمعوا ولم يعملوا قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء : ٦٦] .

■ هكذا لام الله عز وجل ـ الموعوظين، وأرشدهم إلى أن العبرة بالفعل وليس بكثرة السماع للوعظ، وأن الخير كله مترتب على العمل .

■ وعندما أراد ـ سبحانه ـ أن يُذكر الوُعَّاظ بأنه لابد للواعظ أن يعظ نفسه أولاً لم يكتف بالتوجيه فقط، وإنما اشتد عليهم أكثر من الموعوظين، فرماهم بالسَّفه والجنون، إن هم وعظوا ولم يتعظوا، فقال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة : ٤٤] .

وأعلن سبحانه أنه يغضب أشد الغضب عندما يرى قولاً بغير فعل، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف : ٢ - ٣] .

■ إن الوعظ لا يؤثر في الناس إلا إذا رأوا الواعظ أول المبادرين للعمل بما يأمرهم به والانتهاء عما ينهاهم عنه،وقد جلستُ أُعيد قراءة قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء : ٦٦] .

وقلت في نفسي: كم ألقينا باللائمة على الموعوظين، وكم ثارت حفائظ الوُعَّاظ لأنهم يعظون وأكثر الناس في غفلة معرضون، وكم حذَّرنا من عقوبة الذي يعلم الحق ويأمر به ولا يتبعه، ويعرف الباطل وينهى عنه ولا يجتنبه، وكم صرخنا في الناس الويل والثبور والافتضاح وهتك الستور، وبالنار التي تميز من الغيظ وهي تفور، وبالحساب على المثقال والذرة والنواة والقطمير، إذا هم لم

يفعلوا ما يسمعون منا ولم يستجيبوا للتحذير والنذير.

فلما مَـرَرْتُ بالآية قلتُ : إن الذين يعظون الناس ـ وأنا أولهم ـ بحاجة إلى صيحة تحذير ، وإعلان نكير، بحاجة إلى من يقتبس لنا من الآية ويقول : ولو أنهم فعلوا ما يُعظُون به لكان خيراً لهم، لنستفيق من هذا الواقع الأليم الذي رضى فيه أكثر الوعاظ والدعاة أن يكونوا مجرد أبواقٍ أو شماعٍ وسُرُج تحترق لتضيء لغيرها.

فهذه رسالة ـ يعلم الله ـ قصدتُ بها نفسي أولاً ، ثم من باب حبي للدعاة أردت أن أوجهها إليهم ، لعل ذلك أن يكون سبيلا للنجاة بإذن الله وأن يكون أشد تأثيرا وأوقع في قلوب الناس إذا سمعوا ممن يعظونهم كلاما صادقا تصدقه أفعالهم .

هالني وأفزعني هذا الحال العجيب من كثرة الدعاة وقلة الأثر والتأثير فقلت لا شك أن هناك خطأ ما .... ووجدت الأخطاء كثيرة ولكن لم أجد خطأ أشد خطورة من كذب الداعية وعدم تصديق فعله لقوله وكونه يهرف بما لا يعرف ويقول مالا يفعل .

فرحت أقلب في كتاب الله عز وجل وفي التفاسير وكتب السُّنَّة والدعوة أجمع الآيات والأحاديث وأقوال العلماء في ذم مخالفة القول للعمل وخطورة ما يترتب على هذا الأمر من فقدان التأثير في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

وقد هداني الله ـ تعالى ـ لاختيار عنوان هذا البحث، فجعلته بعنوان :

[رسالة نصيحة وتنبيه : لِمَ تقولونَ ما لا تفعلون]

ويسر الله وجمعت ، وقسمت هذه الرسالة إلى مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: شواهد قرآنية في ذم مخالفة القول للعمل .

المبحث الثاني : أحاديث نبوية في ذم مخالفة القول للعمل .

المبحث الثالث : آثار وأقوال واردة في ذم مخالفة القول للعمل.

المبحث الرابع: أشعار قيلت في ذم مخالفة القول للعمل .

المبحث الخامس: أقوال العلماء في استمرار أو اعتزال من يقول ولا يفعل.

المبحث السادس: حرص الدعاة على موافقة العمل للقول كخطوة إيجابية في تجديد الخطاب الديني .

المبحث السابع: بعض الآثار السلبية لمخالفة القول للعمل ، مع بيان الأثر الإيجابي لموافقة القول للعمل فى الدعوة والتربية .

المبحث الثامن : عدة فوائد فاستفد .



منهجي في البحث

■ وقد كان منهجي في التعامل مع الآيات القرآنية أن أُورد الآية كشاهد، وأُتبعها ببعض أقوال المفسرين التي تشرحها وتوضحها، ثم أعقِّب في أكثر الأحيان ـ والحمد لله ـ بتعقيب يسير أخاطب فيه نفسي والقارئ الكريم ليدرك أنه مَعْنِيٌّ بهذا الكلام وليس بمنأى عنه. وقد اقتصرت على تسعة شواهد مع أن المتتبع للقرآن الكريم ربما يحصل على أكثر من ذلك من الشواهد، ولكن البحث هنا رسالة للتذكير وليس للاستقصاء.

■ وكذا في التعامل مع الأحاديث النبوية الشريفة، وربما أوردت بعض الأحاديث والآثار التي فيها ضعف على رأى من قال بجواز العمل بها بالشروط المذكورة في كتب علوم الحديث [١]، وليس في واحد من هذه الأحاديث والآثار ما يعارض صحيحاً منقولاً أو يناقض معقولاً، أو يهدم أصلاً، بل هي تزكى قضية من أهم القضايا، ففيها ترهيب من مخالفة القول للعمل وتحذير من مغبته.

■ وأما الأشعار فربما عَزَوْتُها إلى غير دواوين الشِّعر وذلك لأن معظم الأبيات التي أوردتها ليس لأصحابها دواوين مستقلة وإنما هي أبيات متناثرة تناقلتها عنهم العلماء يستشهدون بها، فاكتفيت بعزوها إلى المصدر الذي نقلتها عنه.

(١) وهي أن يندرج الحديث الضيعف تحت أصل عام، وأن يبن ضعفه، وأن يعتقد العامل به كون ذلك الحديث ضعيفاً، وأن يكون في فضائل الأعمال، وألا يكون ضعفه راجعاً إلى كذب أحد رواته أو فسقه) انظر تبيين العجب بما ورد في فضائل رجب للعلامة ابن حجر ص ٦، ٧ والسخاوي في فتح المغيث ١ / ٢٦٨ . وانظر منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنَّة والمبتدعة لأحمد عبد الرحمن الصويان ص ٤٣ ط ـ المنتدى الإسلامي الرياض ٢٠٠١م، وانظر تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور / عمر الأشقر ص ١١٣ ط ـ دار النفائس الأردن ٢٠٠١ م .

وأسال الله تعالي أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعني به والمسلمين ، وأن يرزقنا مع القول عملا ومع العمل إخلاصا و مع الإخلاص قبولاً ورضا ، إنه المستعان ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير إلى عفو ربه

حماد علي عبد السميع حسين

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

المبحث الأول
شواهد قرآنية في ذم مخالفة القول للعمل

إن القرآن الكريم هو كتاب الدعوة إلى الله ، فيه المبادئ العملية والأساليب والمناهج والوسائل والطرق التي لا بد أن تُلْتَزم في دعوة الناس ، ووعظهم وتذكيرهم ، وفيه أيضا لفت نظر لما ينبغي أن يكون عليه حامل هذه الرسالة القرآنية من الآداب والأخلاق ، حتى يضمن لدعوته التأثير والقبول وأن تؤتى ثمارها ، وهذا كثير في طول القرآن وعرضه ، قد يكون صريحًا ، وقد يستنبط من قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام . .

ولا نريد هنا تحري أخلاق الداعية وآدابه كلها ، وإنما كما قلت نتخير رسالة فقط لتوجيهها إلى علماء ودعاة الأمة بشأن أدب من أهم آداب الدعاة وهو موافقة القول للعمل .

وفى هذا المبحث نسوق الشواهد القرآنية التي تُحَذِّر من مخالفة القول للعمل ، مع التعليق عليها ونقل كلام العلماء ما أمكن عسى أن يكون في ذلك ما يحرك دواعي الإخلاص في قلوبنا، والله المستعان .

الشاهد الأول : من سورة البقرة :

يقول الله تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)** ﴾ [البقرة : ٤٤] .

قال ابن كثير رحمه الله :

« يقول تعالى كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس

بالبر وهو جماع الخير ، أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قَصَّر في أوامر الله ؟،أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنبهوا من رقدتكم وتبصروا من عمايتكم .

وهذا كما قال عبد الرازق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون ، فَعَيَّرهُم الله بذلك ، وكذلك قال السُّدِّي وقال ابن جريج : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويَدَعُون العمل بما يأمرون به الناس ، فَعَيَّرهُم بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة .

والغرض أن الله تعالى ذَمَّهُم على هذا الصنيع ونَبَّهَهُم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له،فإن الأمر بالمعروف وهو واجب على العَالِم، ولكن الواجب والأولى بالعَالِم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلّف عنهم كما قال شعيب عليه السلام : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود : ٨٨] (١) .

وقال صاحب الظلال في هذا الشاهد :

« ... ثم ينكر عليهم - وبخاصة أحبارهم - أن يكونوا من الدعاة إلى الإيمان بحكم أنهم أهل كتاب بين مشركين ، وهم في والوقت ذاته يصدون قومهم عن الإيمان بدين الله المصدق لدينهم القديم ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة : ٤٤] .

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ١ / ١٣٠ - ١٣١ ، ط. مكتبة الإيمان المنصورة، ١٩٩٦م.

ومع أن هذا النص القرآني كان يواجه ابتداء حالة واقعة من بني إسرائيل فإنه في إيحائه للنفس البشرية ولرجال الدين بصفة خاصة ، دائم لا يخص قومًا دون قوم ولا يعني جيلاً دون جيل .

إن آفة رجال الدين - حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارَّة دافعة - إنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، ويدعون إلى البر ويهملونه ، ويحرفون الكَلِمَ عن مواضعه ، ويُؤَوِّلون النصوص القاطعة خدمة للغرض والهوى ، ويجدون فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص ، ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين ، لتبرير أغراض وأهواء لمن يملكون المال أو السلطان كما كان يفعل أحبار اليهود .

والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم ، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ، ويشهدون فعلاً قبيحاً ، فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل ، وتخبوا في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان ، ولا يعودون يثقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين ، إن الكلمة لتنبعث ميتة ، وتصل هامدة مهما تكن طنَّانة رنَّانة متحمسة ، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقا إلا أن يستحيل هو ترجمة حيَّة لما يقول، وتجسيمًا واقعيًا لما ينطق ... عندئذ يؤمن الناس ، ويثق الناس ، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق ... إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها ، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها ... إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة ، لأنها منبثقة من حياة .

والمطابقة بين القول والفعل وبين العقيدة والسلوك ليست مع هذا أمرًا هينًا ولا طريقًا مُعَبَّدًا . إنها في حاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة وإلى صلة بالله واستمداد منه واستعانة بهديه ، فملابسات الحياة وضروراتها واضطراراتها كثيراً ما تنأى بالفرد في واقعه عما يعتقده في ضميره ، أو عما يدعوا إليه غيره . والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته ، لأن قوى الشر والطغيان والإغواء أكبر منه وقد يغالبها مرة ومرة ومرة ، ولكن لحظة ضعف تنتابه فيتخاذل ويتهاوى ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله ، فأما وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد فهو قويٌّ قويٌّ ، ... قوي على شهوته وضعفه ، قوي على ضروراته وأضطرارا ته، قوي على ذوي القوة الذين يواجهونه » [١] .

قال قتادة ـ رحمه الله ـ :

في قوله تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** (٤٤) ﴾ كان بنوا إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون ، فعيَّرهم الله تعالى [٢] .

وقال ابن جريج ـ رحمه الله ـ :

« أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويَدَعُون العمل بما يأمرون به الناس فعيَّرهم الله بذلك ، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة » [٣] .

وقد أورد الإمام الطبري في تفسيره أقوالاً كثيرة لأهل التفسير في معنى هذه

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١ /٦٨ ، ط . الشروق والقاهرة – الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٢) تفسير الطبري ١ / ٣٦٦ط دار الفكر ــ بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

(٣) تفسير الطبري ١ / ٣٦٦ .

الآية ثم قال : « وجميع الذي قال في تأويل هذه الآية مَنْ ذكرنا قوله متقارب المعنى ، لأنهم وإن اختلفوا في صفة البر الذي كان القوم يأمرون به غيرهم ... فهم متفقون في أنهم كانوا يأمرون الناس بما لله فيه رضا من القول أو العمل ، ويخالفون ما أمروهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم . فالتأويل الذي يدل على صحته ظاهر التلاوة إذاً : أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه فلا تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم ، مُعيِّرهم بذلك ومُقَبِّحًا إليهم ما أتوا به ، ومعنى نسيانهم أنفسهم في هذا الموضوع نظير النسيان الذي قال جل ثناؤه ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] ، بمعنى تركوا طاعة الله ، فتركهم الله من ثوابه » (١) .

وقال الشيخ / عبد العزيز السلمان معلقاً على هذه الآية:

« فالآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره، وإن فعله فعل الجاهل بالشرع، أو الأحمق الذي لا عقل له، فإن الآمر بالخير مع حرمان النفس منه مما لا يتفق وقضية العقل..... » (٢)

ولك أخي الداعية الحبيب أن تُمعِن النظر والتأمل في تذييل الآية بقوله تعالى : ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ .

كأن الله تعالى يشير إلى أن من يأمر بالبر وينسى نفسه به مَسٌّ من جنون وضرب من خَبَل ، وفقدان في اتزان عقله .

« فالعقل ضد الحمق ... وسُمِّي العقل عقلاً ؛ لأنه يعقل صاحبه عمَّا لا يُحْسِن ... وقد رُوِيَ : ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى

---

(١) تفسير الطبري ١ / ٣٦٩ .
(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان ٢ / ١٧ط مطابع المدينة . بالرياض الطبعة ٢٦ .

أو يرده عن ردى » [١] .

وما أجمل قول القائل :

إن قوما يأمرون بالذي لا يفعلون . . . لمجانين وإن هم لـم يكونوا يُصْرَعُون . إن النفس السَّوية عندما تبصر مجنونا فاقد العقل قد لا تأبه له ولا يثير انتباهها كما يثير انتباهها رؤية العاقل الذي لا يرده عقله عن فعل الحمقى والمجانين ! .

فاختر لنفسك أخي الحبيب إما مجنوناً وإما عاقلاً ، وأكثر الناس لا يعقلون .

يا آمر الناس بالمعروف مُجْتَهِداً ... وإن رأى عَامِلاً بالمنكر انْتَهَره
ابدأ بنفسك قبل الناسِ كلهم ... فأوصِهَا واتل ما في سورة البقرة [٢]

الشاهد الثاني : من سورة الصف :

يقول الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾[الصف : ٢ – ٣] .

وهذا النداء الإلهي الشديد الرفيق في ذات الوقت ، صريح في التحذير من مخالفة القول للعمل ، وإيقاظ من فيهم هذه الصفة الذميمة .

هو نداء شديد لأنه يوضح مقدار غضب الله ومقته لمن يخالف فعله قوله أو يقول مالا يفعل ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾. والمقت هو البغض الشديد يُقال: مَقَتٌ فلانًا مقتاً ، أي أبغضه أشد البغض [٣] .

وانظر أخي الداعية الحبيب كيف جاء التعبير بكلمة مقتاً موافقاً لخطورة

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤ / ٨٥ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة١٤٢١هـ

(٢) موارد الظمآن ٢ / ٩ .

(٣) **انظر** : مجد الدين الفيروز آبادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤ / ٥١٥ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م

الموقف وشدة النداء ، إن أي كلمة غير كلمة (مقت) لا تناسب ولا توحي بهذا الإيحاء الرهيب من التهديد والوعيد ، كأن لو قيل (كَبُر إثماً) أ و (كَبُر ذنباً) أو (جُرْمًا) إلخ ، لأن التعبير بالمقت يوحي بأن الممقوت محتقر لا يستحق التقدير ، والذي يقول مالا يفعل لا يستحق التقدير ولا الكرامة فهو نازل في نظر الناس وفي نظر الله تبارك وتعالى .

وهو نداء رفيق في نفس الوقت إذ يصدر بتعبير من شأنه لو صادف قلوبًا مؤمنة وآذانًا واعية لأثَّر فيها ، إنه النداء بصفة الإيمان ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ برغم ما بَدَرَ منهم من مخالفة إلا أن الله يترفق بهم في ردهم إلى الطريق المستقيم، والنفس جُبِلَت على حب المدح والثناء ، فكأن الله تعالى يرغبهم قبل أن يرهبهم ، وما ذاك إلا ليردهم إليه .

قال مجد الدين الفيروز آبادي في بصائره :

« بصيرة في سبح لله .. الصف .. معظم مقصود السورة : عتاب الذين يقولون أقوالاً لا يعملون بمقتضاها ، وتشريف صفوف الغزاة والمصلِّين والتنبيه على جفاء بني إسرائيل وإظهار دين المصطفى على سائر الأديان ، وبيان التجارة الرابحة مع الرحيم الرحمن » [١] .

وقال الآلوسي :

« ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾ بيان لغاية قبح ما فعلوه وكَبُرَ من باب بئس ، فيه ضمير مفسرة بالنكرة بعده .. ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين .. مقتٌ خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه ، وأخيرًا لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه » [٢] .

(١) بصائر ذوي التمييز ١ / ٤٦٢ .
(٢) روح المعاني ١٥ / ١٢٣ ط دار الفكر ــ بيروت ١٩٩٧ م .

وقال الشيخ عبد الحميد كشك ـ رحمه الله ـ :

« كم تكون المسئولية خطيرة وجسيمة ، وكم يكون العقاب شديداً ومضاعفًا لقوم أمروا غيرهم ولم يأتمروا ، ونهوا الناس ولم ينتهوا ، قال تعالى في الحديث القدسي الجليل :

« **لقد خلقتُ خلقًا ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمَرُّ من الصبر ، فبي حلفت لأتيحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيرانًا ، أبِيَ يغترون أم عليَّ يجترؤن** » [١] .

وقال الواحدي ـ رحمه الله ـ في أسباب النزول :

قال المفسرون :

« كان المسلمون يقولون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا** ﴾ [الصف : ٤] ، فابتُلُوا يوم أُحد بذلك فولَّوا مُدبرين ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴿٢﴾ ﴾ » [٢] .

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فهو خطاب موجه لكل من يقول قولا ولا يعمل بمقتضاه أن يحذر من مقت الله وغضبه .

فالواعظ الذي يُذكِّر الناس ، والحاكم الذي يسوس ويحكم الناس ، والمعلم الذي يُؤدِّب ويربي ، والأب والأم في البيت ، والمدير في الشركة .. والمصنع .. والمؤسسة .... .

---

(١) في رحاب التفسير ٨ / ٦٧٦٨ ط المكتب المصري الحديث ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ، ١ / ٧٦ ، « أخرجه ابن عبد البر بإسناد ضعيف » .

(٢) أسباب النزول ، ص ٣٦٣ ، ط . دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٦م – ١٤١٦هـ .

كل هؤلاء جميعاً لا يقبل منهم ما دام فعلهم شاهد على كذبهم ، وأنهم يقولون مالا يفعلون .

وقد فهم سلفنا الصالح رضوان الله عليهم خطورة قضية القول بغير عمل وما يترتب عليها من فساد في كل نواحي الحياة ، وما يتعرض له صاحبها من عقوبة وحبوط عمل . . فكانوا يتواصون بالحرص على العمل ومطابقته القول .

روى الطبراني ـ رحمه الله ـ :

« أنه لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر بعث إليه فأتاه فقال : إني أدعوك لأمرٍ مُتعب لمن وَلِيَهُ ،فاتق الله يا عمر بطاعته وأطعه بتقواه، فإن التَّقِيَّ آمنٌ محفوظ، ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيته ، وأن يحبط عمله،فإن أنت وَلِّيتَ عليهم أمرهم ، فإن استطعت أن تُجفَّ يَدَكَ من دمائهم، وأن تُضْمرَ بطنك من أموالهم ، وأن تُجفَّ لسانك عن أعراضهم فافعل ولا قوة إلا بالله » (١) .

فكم من واعظ يأمر الناس بالخير ولا يفعل ، وينهاهم ويكفهم عن الشر ولا يكف ! وكم من حاكم يعاقب القتلة ويداه ملطختان بدماء الأبرياء ، ويَدَّعِي أنه الأمين على أموالهم وثرواتهم وبطنه قد تورم من أقواتهم ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الشاهد الثالث : من سورة هود عليه السلام :

قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام مع قومه:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ

(١) أورده الشيخ كشك ـ رحمه الله ـ في رحاب التفسير ٨ / ٦٧٦٨ ، وعزاه إلى الطبراني وقال رواته ثقات .

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾ [هود : ٨٨] .

إن شعيباً عليه السلام وهو يدعو قومه ، ولا يجد منهم إلا الصدود والإعراض فطن إلى أنه قد يكون سبب إعراضهم هو أنهم يجدون في أفعاله ما يتعارض مع أقواله ،كأن يأمرهم بالإنفاق وهو لا ينفق أو يجمع الأموال ويبخل بها كما قالوا : ﴿ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ [هود : ٨٧] فقطع عليهم هذا الظن قائلاً : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ .

قال الفخر الرازي - رحمه الله - :

« يعني وما أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم » (١) .

وقال ابن كثير - رحمه الله - :

« قال الثوري : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ أي لا أنهاكم عن الشيء وأخالف أنا في السر فأفعله خُفْيَة عنكم .. وقال قتادة .. قول لم أكن أنهاكم عن أمر و أرتكبه » (٢) .

إن أكثر الناس بطبيعتهم وهم يسمعون الداعي أو من يعظهم ويأمرهم وينهاهم يكون في أنفسهم حُبٌّ التطلُّع إلى معرفة حال الداعي وموقعه من الكلام الذي يقوله فإما موافقة يحصل بها التأثر والإقتداء ، وإما مخالفة يبنون عليها ما يبرر عدم استجابتهم وإعراضهم - إلا من رحم ربي .

وقد حدث هذا مع بعض الناس حتى مع من لم يُعْهد عليه أن يقول قولاً ولا يفعله ﷺ ، أخرج الإمام أحمد في مسنده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨ / ٤٧ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٥م .
(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ١٤٥ - ١٤٦ .

قال : « أخذ النبي ﷺ ناساً من قومي في تهمة فحبسهم ، فجاء رجل من قومي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال : يا محمد علام تحبس جيراني ؟ فصمت رسول الله ﷺ . فقال : إن ناسا ليقولون إنك تنهى عن الشيء وتستخلى به - وفي رواية ليزعمون إنك لتأمر بالأمر وتخالف إلى غيره ، فقال النبي ﷺ : **ما تقول؟** ، قال : فجعلت أعرض بينهما كلامًا مخافة أن يسمعها فيدعو على قومي دعوة فلا يُفلحون بعدها أبدًا ، فلم يزل رسول الله ﷺ حتى فهمها ، فقال : « **أَوَقَدْ قالوها . . والله لو فعلت لكان على وما كان عليهم ، خَلُّوا عن جيرانهم** » [1] .

فإذا كان حال أكثر الناس مع دعاة الصدق هكذا يتلمسون منهم مخالفة بين أقوالهم وأفعالهم ويتهمونهم فكيف بهم مع من يتحققون منهم أنهم يقولون مالا يفعلون ، وأنهم ينهونهم ثم يخالفونهم إلى ما نهوهم عنه ؟ .

الشاهد الرابع : من سورة الشعراء :

يقول الله تعالى : ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦)** ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ – ٢٢٦] .

إن الله تعالى يذم مخالفة الفعل للقول حتى ولو كان في شعر يَتمدَّحُ الناس به أو يتفكهون ويتندرون ،وما أكثر ما تسرح خيالات الشعراء في أودية وضروب كثيرة ، فيهيمون في القول بحق وبباطل ، وقد يأمرون بالجود وهم بخلاء .

قال الفخر الرازي – رحمه الله – :

﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤)** ﴾ الخ : وذلك لأنهم قد يمدحون الشيء بعد أن ذموه وبالعكس وقد يعظمونه بعد أن حقروه وبالعكس ، وهذا يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق ، بخلاف أمر محمد ﷺ فإنه من أول

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥ / ٢ .

أمره إلى آخره بقى على طريق واحد وهو الدعوة - إلى الله تعالى والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا .. ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) ﴾ وذلك أيضاً من علامات الغواة ، فإنهم يُرغِّبُون في الجود ويْرغَبُون عنه ، وينفِّرون عن البخل ويُصِرُّون عليه ، ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم .. ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش وذلك يدل على الغواية والضلالة (١) . (٢) .

وقال صاحب الظلال - رحمه الله - :

« الشعراء أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة تتحكم فيهم مشاعرهم وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت ويَرَوْنَ الأمر الواحد في لحظة أسود وفي لحظة أبيض ، يرضون فيقولون قولاً ، ويسخطون فيقولون قولاً آخر ..ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال . هذا إلى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها ، ويتخيلون أفعالا ونتائج ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء ، لأنهم يخلقون في خيالهم واقعا آخر يعيشون عليه .. ويتبعهم الغاوون الهائمون مع الهوى الذي لا منهج له ولا هدف وهم يهيمون في كل واد من وديان الشعور والتصور والقول .. وهم يقولون مالا يفعلون لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم ، يُؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم .

ومن ثَمَّ يقولون أشياء كثيرة ولا يفعلونها ، لأنهم عاشوها في تلك العوالم الموهومة ، وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة .. » (٣) .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٤ / ١٧٦ بتصرف يسير .

(٢) ومعلوم أن هذا محمول على ضلال الشعراء وما أكثرهم , وأما من قال شعرًا فصدق فيه ولم يتفحش في قوله فهو خير وقد جاء في الأثر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت الشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح .

(٣) في ظلال القرآن ٥ / ٢٦٢١ .

وكذلك الواعظ أو الذي يدعو الناس بقول لا يصحبه عمل هو في خيال ووهم وما أكثر من يعيشون في هذا الوهم ، يبذلون من الكلام كثيراً ومن العمل قليلاً ويظنون أنهم بذلك أدوا الذي عليهم ، قال تعالى : ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ [فاطر : ٨] .

الشاهد الخامس: من سورة الأنفال:

يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** (٢٧) ﴾ [الأنفال : ٢٧] وإن كانت موجهة إلى عموم المؤمنين بحفظ الأمانات والحذر من الخيانة إلا أنها تكاد تكون موجهة في المقام الأول للدعاة إلى الله تعالى أن يكونوا أهلاً للأمانة العظمى التي تَحَمَّلُوها، فالحياة كلها أمانات وأعظم أمانة فيها أمانة التكاليف الشرعية التي قال الله تعالى فيها : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** (٧٢) ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

والدعاة إلى الله تعالى من المفترض أنهم القائمون على حراسة هذه الأمانة من الضياع فإذا غفلوا ضاعت ، ألا وإن من الغفلة أن تخالف أقوالهم أفعالهم فيضيعوا الأمانة ويكونوا بذلك قد خانوا الله ورسوله وأماناتهم.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير في هذه الآية : « أي لا تُظْهِروا له من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه في السر إلى غيره فإن ذلك هلاك لأماناتكم و خيانة لأنفسكم » [١] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٥٣ .

وإن مما يدل على وجه الاستشهاد بالآية تذييل الآية بقوله تعالى : ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ فالذي يقول ولا يعمل ، هو عالم لكنه ضيع أمانة الصدق وأمانة الكلمة و أمانة التبليغ وأمانة العمل ، كل هذا برغم علمه ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ .

فكأن الله تعالى أراد أن يُشَنِّع على الذين يقولون ولا يعملون ببيان قبح صنيعهم وأنه خيانة ، وليست بجهل وإنما عن علم ، وليس من يخون وهو يجهل كمن يخون وهو يعلم .

فيا أخي لنختر لأنفسنا : إما أُمناء في التبليغ وإما خَوَنَة ،ليس للناس فقط ، وإنما لله ورسوله .

الشاهد السادس : من سورة الجمعة :

يقول الله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)** ﴾ .
[الجمعة : ٥] .

وفي هذا الشاهد يُشَبِّه الله تعالى من يؤتيه العلم ـ فيحمله وقد يبلغه للناس ولا يعمل بمقتضاه ـ بالحمار يحمل أسفارًا ، فإن الحمار إذا حُمِّلَ عليه أثمن وأغلى وأنفع الأسفار ـ وهي الكتب ـ لا ينتفع منها بشيء ، لأنه لا يعرف قيمة ما يحمل .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :

يقول تعالى : ذامًا لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك ﴿ **كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ ، أي كمثل الحمار إذ حمل كتبًا لا يدرى ما فيها ، فهو يحملها حملاً حسيًا ولا يدرى ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه ، حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا

عملوا بمقتضاه بل أوَّلوه وحَرَّفوه وبدَّلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير لأن الحمار لا فَهْمَ له ، وهؤلاء لهم فُهوم لم يستعملوها ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾ [الأعراف : ١٧٩] (١) .

وقال صاحب الظلال - رحمه الله - حول هذه الآية :

« فبنو إسرائيل حملوا التوراة ، وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة . . . ثم لم يحملوها . . فحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه ، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير و عالم الواقع . ولكن سيرة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم - وكما هي في حقيقتها - لا تدل على أنهم قَدَّروا هذه الأمانة ، ولا أنهم فقهوا حقيقتها ، ولا أنهم عملوا بها ، ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام وليس له منها إلا ثقلها ، فهو ليس صاحبها وليس شريكا في الغاية منها . وهى صورة زَرَيِّة بائسة ، ومثلٌ سيئ شائن ، ولكنها صوره معبرة عن حقيقة صادقة ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) ﴾ [الجمعة : ٥] .

ومثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها . . . كل الذين حُمِّلوا أمانة العقيدة ثم لم يحملوها ،والمسلمون الذين غبرت بهم أجيال كثيره ،والذين يعيشون في هذا الزمان وهم يحملون أسماء المسلمين ولا يعملون عمل المسلمين، وبخاصة أولئك الذين يقرأ ون القرآن والكتب وهم لا ينهضون بما فيها . . أولئك كلهم ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ وهم كثيرون كثيرون ، فليست المسألة مسألة كتب تُحمَل و تُدرَّس ، إنما هي مسألة فقه وعمل بما في الكتب » (٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٨ / ٥٧ .
(١) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٧ .

إذن أخي الداعية ـ الكريم ـ كل واعظ يذكِّر الناس ويخالف قوله عمله ينطبق عليه المثل المضروب في هذه الآية ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ فقوله قول علماء ، وفعله إذا خالف فعل حمير ، والحمار يُضرب به المثل في البلادة وعدم الفهم ، فالذي يحمل العلم ويؤديه إلى الناس ولا ينتفع ولا يعمل به ، هو في تبلُّد الحسِّ وموت المشاعر كالحمار .

فهل ترضى لنفسك هذا المثل ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ وقد ذمه الله تعالى فقال : ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ ﴾ أعوذ بالله ، وأعيذك بالله من أن نرضى لأنفسنا هذا المثل .

الشاهد السابع من سورة البقرة :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾[البقرة ٢٠٤ – ٢٠٦] .

قال الشيخ السعدى ـ رحمه الله ـ فى تفسير هذه الآية :

« لما أمر تعالى بالإكثار من ذكره، وخصوصاً في الأوقات الفاضلة ـ الذي هو خير مصلحة وبر، أخبر تعالى بحال من يتكلم بلسانه ويخالف فعله قوله ، فالكلام إما أن يرفع الإنسان أو يخفضه، فقال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أي إذا تكلم راق كلامه للسامع، وإذا نطق ظننته يتكلم بكلام نافع، ويؤكد ما يقول بأنه(﴿ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ بأن يخبر: أن الله يعلم أن ما في قلبه موافق لما نطق به، وهو كاذب في ذلك، لأنه يخالف فعله قوله، فلو كان صادقاً لتوافق القول والفعل، كحال المؤمن غير المنافق، فلهذا قال :

﴿ وهُو أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ أي إذا خاصمته وجدت فيه من اللَّدد والصعوبة والتعصُّب وما يترتب على ذلك ما هو من مقابح الصفات، ليس كأخلاق المؤمنين الذين جعلوا السهولة مركبهم والانقياد للحق وظيفتهم، والسماحة سجيتهم.... وفى هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص ليست دليلاً على صدق ولا كذب ، ولا بر ولا فجور، حتى يوجد العمل المصَدِّق لها، المزكِّى لها، وأنه ينبغى اختبار أحوال الشهود والمُحِقّ والمُبْطِل من الناس بسَبْر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يُغترَّ بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم) (١) .

وقال الشيخ/ سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

« هذا المخلوق الذي يتحدث فيصور لك نفسه خلاصة من الخير، ومن الإخلاص ومن التجرد ومن الحب، ومن الترفع، ومن الرغبة في إفاضة الخير والبر والسعادة والطهارة على الناس .

هذا الذي يعجبك حديثه وتعجبك ذلاقة لسانه، وتعجبك نبرة صوته ويعجبك حديثه عن الخير والبر والصلاح ﴿ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ زيادة في التأثير والإيحاء وتوكيداً للتجرد والإخلاص، وإظهاراً للتقوى وخشية الله ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ تزدحم نفسه باللدد والخصومة، فلا ظل فيها للودِّ والسماحة ولا موضع فيها للحب والخير، ولا مكان فيها للتجمل والإيثار.. هذا الذي يُتقِن الكذب والتمويه والدهان..حتى إذا جاء دور العمل ظهر المخبوء، وانكشف المستور ، وفُضِحَ بما فيه من حقيقة الشر و البغي والحقد والفساد... والله لا يخفى عليه حقيقة هذا الصنف من الناس ولا يجوز عليه الدِّهان والطِّلاء الذي قد يجوز على الناس فى الحياة الدنيا فلا يعجبه من هذا الصنف النكد ما يعجب .

---

(١) الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ : تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ، ص ٧٨ ط دار ابن حزم – بيروت – ٢٠٠٣ بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

الناس الذين تخدعهم الظواهر وتخفى عليهم السرائر) (١) .

وحقاً كم من إنسان . . وكم من واعظ وداعية . . يعجبك قوله ويأخذ بمجامع القلوب . . ويسحر ببيانه العقول . . ويشد الانتباه . . ولكن فعله يدحض قوله ويناقضه . . وهذا والله كما قال ربنا عز وجل : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ أشد الخصوم وأعتاهم، وهذا الساحر بقوله يتخذ من سحر بيانه ستار يستتر به وهو يُفسِد فى الأرض ويُهلِك الحرث والنسل ، وإذا ما وقف أحد على كذبه ومخادعته فحاول أن يُذكِّره بتقوى الله قائلاً له : ﴿ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ تأخذه العزة بالإثم ، لأنه يحسب أن العباءة التي نسجها قوله ـ الذي خالفه فعله وكذبه ـ أقوى من أن يطلع أحد من خلالها على مخادعته وكذبه ﴿ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ .

الشاهد الثامن: من سورة الكهف :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٤] .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [فاطر : ٨] .

والذي يخالف قوله فعله ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً،وهو أيضا ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً،يحسب أنه من الدعاة إلى الله، يحسب أنه ناصر دين الله، يحسب أنه أدى الواجب الذي عليه، ولكن فى الحقيقة هو من الخاسرين.

والآيتين وإن كانتا فى الكفار إلا أن لمن يخالف فعله قوله منها حظ ونصيب، إذ العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

---

(١) فى ظلال القران ١ / ٢٠٤، ٢٠٥ ط دار الشروق ـ القاهرة- ١٤٠٧هـ

الشاهد التاسع: من سورة فصلت :

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فالآيه تدل دلالة واضحة على أن القول لا يكون حسناً إلا إذا أتبعه عمل صالح من القائل، وبالطبع إذا لم يتبع القول عمل فهو ليس من أحسن القول بل العكس، فيكون قوله بغير عمل مذموماً [١] .

قال الشيخ/ السَعدي- رحمه الله-:

(أي لا أحد أحسن كلاماً وطريقة وحالة ممن ﴿ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين والمعرضين ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها وتحسينها ما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه وتقبيحه بكل طريق. . . ثم قال تعالى : ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ : أي مع دعوته الخلق إلى الله بادر هو بنفسه إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح الذي يُرضِي ربه ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي المنقَادين لأمره السالكين فى طريقه، وهذه المرتبة تمامها للصِّدِّيقين الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم، وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل، كما أن من أشر الناس قولاً : من كان من دعاة الضلال السالكين لسبله) [٢] .

ومن خلال الشواهد السابقة كلها أحسب أنه قد تكونت لديك صورة واضحة عن موقف القرآن الكريم من مخالفة القول للعمل .

وهى بإيجاز:

ذمٌّ وتوبيخٌ وتذكيرٌ وإنكارٌ وسخطٌ ومقتٌ وتشبيه بأبلد الدَّواب فقد

---

(١) وسيأتي تفصيل لهذا الشاهد فى مبحث الفوائد إن شاء الله .

(٢) تيسر الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ص ٧١٥ .

رأيت كيف ينفي القرآن أن يكون ـ من يأمر بالبر وينسى نفسه ـ عاقلاً ، وكيف شبهه بالحمار ، وسَمَّي فعله هذا خيانة ــ وأي خيانة !! ، وأعلن مقت الله تعالى وغضبه أشد المقت والغضب عليه .

وهي صورة تقشعر من شناعتها الجلود والأبدان ، وتنخلع الأفئدة وجَلاً وفرقًا، فاللهم إنا نعوذ بعفوك من عقوبتك ، وبرضاك من سخطك ، وبك منك ، جَلَّ وجهك لا نُحصِي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيتَ على نفسك .



المبحث الثاني
أحاديث نبوية في ذم مخالفة القول للعمل

وكما رأينا فى المبحث السابق كيف اهتم القرآن الكريم بقضية مخالفة القول للعمل والتحذير من عاقبتها، فإن السُّنَّة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ذخرت بالعديد من الأحاديث التى تعالج وتحذر من مخالفة القول للعمل، وسأذكر بعضاً منها لا جميعها، عسى أن يكون فيها ما يحرك ساكن القلوب للحذر من مغبة مخالفة القول للعمل ، فهذه الأحاديث تحذيرات نبيٍّ صادق لا ينطق عن الهوى، تحذيرات نبيٍّ رحيم يخاف علينا من النار، ويحجزنا عنها ونحن كالفراش نريد أن نتهاوى فيها، تحذيرات نبي كلما دعى ليسأل حاجة قال: أُمَّتي أُمَّتي . . .فاللهم اجعلنا من أهل شفاعته ، وانفعنا بكلامه وارزقنا اتباعه ﷺ .

وها هى بعض الأحاديث التى تذم مخالفة القول للعمل وتحذر منها:

أولاً : أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما :

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يُؤْتَى بالرجل يوم القيامة ، فَيُلْقَى في النار ، فتندلق أقتابُ بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرَّحَى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول قد كنتُ آمُرُ بالمعروف ولا آتيه ،وأنهى عن المنكر وآتيه** » [١] .

---

(١) البخاري : ك بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ٦ / ٤٠٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ك الزهد / باب : عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهى عن المنكر ويفعله، ٤١٨/١٨ .

أرأيت أخي الداعية بشاعة هذه الصورة ، ونكارة منظرها وما فيها من الخزي والصغار والتبكيت حتى من أهل النار .

[١]أمَعْاءٌ تخرج من البطن كالحبال والحيات .

[٢]يدور بها صاحبها كما يدور الحمار بالرحى أو الساقية .

[٣] يجتمع أهل النار ويسألون متعجبين كيف صار هذا الذي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلى مثل هذا المصير ؟ .

[٤] إقرار بالذنب معه خزي وندامة كما قال تعالى ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ .

[٥] فضيحة على رؤوس الأشهاد فالجزاء من جنس العمل فطالما استتر بلباس التقوى وهو يَدّعِي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان جزاءً وفاقًا أن يهتك عنه هذا الستر . اللهم لا تفضحنا .

وقد أورد الشيخ : محمد بن سالم البيحاني هذا الحديث في كتابه القيم إصلاح المجتمع ثم قال : « الله أكبر ما أشد هذا الحديث ، وما أعظم هذا التخويف ، ترتعد له الفرائص ، وتنفطر من هوله قلوب الذين يخشون ربهم ويخافون عذابه ، وكنت أريد ألا أُعَلِّق عليه بشيء ، ولا أكتب عنه شيئًا ، فهو ترجمان نفسه ، وفيه من بلاغة النبوة وقوة الحجة ما يغنى عن شرحه ، وما تخرس هذه الألسن وتتحطم دون بيانه الأقلام .

ولكن مخاطبة بعض الناس تقتضى الإطناب والإسهاب ، ونحن معاشر الوُعَّاظ وإن كنا نحب الصلاح وأهله ، ونبغض الفساد وأهله ، مُقصِّرون فيما علينا ، وكلامُنا ضعيف التأثير وقليل الفائدة ، لا ينفذ إلى قلوب المستمعين ، ولا يأخذ بأزمَّة النفوس إلى الفضيلة إلا قليلاً ، لأنه وإن كان حقا فقد أُشيب بشيء من الباطل وقُصِد به غير الله . نأمر بالجهاد في سبيل الله ونحن جبناء ،

ونحث على الإنفاق في مرضاة الله ونحن بخلاء ، وندعو إلى العبادة ونحن كسالى ، ونحذر من المعصية ونحن ضعفاء ، يتحكم فينا الشيطان ، ويغلبنا الهوى فنتبع الشهوات، ونتساهل بالمكروهات والمحرمات، ويفوتنا الكثير من الواجبات والمندوبات ولا قوة إلا بالله .

أستغفر الله من قول بلا عمل ... لقد نسبتُ به نسلاً لذي عُقْمِ
أمرتك الخير لكن ما ائتمرتُ به ... وما استقمت فما قولي لك استقم
ولا تزودتُّ قبل الموت نافلة ... ولم أُصَلِّ سوى فرض ولم أَصُم

فيا علماء الدين وورثة النبيين ، وحملة الشريعة ومستنبطي الأحكام أين أنتم من هذا الحديث العظيم ؟ .

أتؤمنون به ثم لا تطابق أعمالكم أقوالكم ؟ .

أم تفكرون به وهو صحيح وشواهده من القرآن واضحة جميلة .. فلئن كان على غيركم اجتناب الشر وفعل الخير فحسب، فإن عليكم ذلك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس من يعلم كمن لا يعلم » (١) .

ثانياً : وأخرج مسلم في صحيحه - أيضا - بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه :

قال : قال رسول الله ﷺ : « **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة ريحها وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن ، مثل الرَّيحَانة ريحها طيب وطعمها مَر ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، ليس لها**

---

(١) إصلاح المجتمع شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه البخاري ومسلم ص٤١٨ ط دار القلم _ ببيروت _ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

ريح وطعمها مرّ » (١) .

والشاهد في الحديث قوله ﷺ : « **ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الرَّيحَانَةِ ريحها طيب وطعمها مّر** » .

والذي يخالف عمله قوله منافق بلا خلاف ، وهو لكذبه وادعائه أنه من أهل القرآن يأمر به وينهى ، يظهر بمظهر حسن وريح طيب كالريحانة ، لكنه في حقيقة أمره يهتك الأستار ، ويخالف ما يقرأ من القرآن ، وهذا عند من يعرف نكارته كفعل يجعل لهذا الداعي طعمًا مرًا كالعلقم لا يُستَسَاغ ، بل تكرهه الفِطَر السَّوِيَّة ، وتلفظه الأذواق السليمة لمرارته وقبحه ونكارته .

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ :

« شبهه ـ أي المنافق ـ بالريحانة حين لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يَفُزْ بحلاوة أجره ، فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحَلْق ، ولا اتصل بالقلب » (٢) .

ثالثاً : وأورد المنذري في الترغيب والترهيب :

أن النبي ﷺ قال : « **مررتُ ليلةَ أُسرِيَ بي بأقوامٍ تُقرَضِ شفَاهُهُم بمقاريض من نار ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون**» وفي رواية « **ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به**» (٣).

■ هذه صورة أخرى من صور الصَّغار والمهانة ، التي تلحق من يخالف

---

(١) البخاري : ك التوحيد ، باب قراءة الفاجر والمنافق ١٣ / ٦٤٩ . مسلم : ك صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة حافظ القرآن ٦ / ٤١٧ .

(٢) فتح الباري ١٣ / ٦٤٩ ط دار الحديث ـ القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

(٣) الحافظ المنذري : الترغيب والترهيب : ك العلم ، باب الترهيب من أن يعلم ولا يعمل بعلمه ويقول ولا يفعله ١ / ١٢٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٢١ ، ولفت النظر إلى خطأ الحافظ المنذري في نسبة الحديث إلى الصحيحين وقال : (هذا وهم =

فعله قوله ، يُوكِّل الله تعالى به مَلَكًا معه مِقْراض (أي مقص) ، يُقْرض به شفتاه عقوبة له ونكاية بشفتيه اللتان طالما تكلمتا وبلبلتا وتشدقتا بالكلام وثرثرتا .

■ ولك أخي الحبيب أن تتخيل وجهاً قصّت منه الشفتان ، وبدت منه الأسنان ، وسالت الدماء ، بالله أهذا وجه إنسان ؟ .

وهل هذا الوجه الكالح الذي يشبه وجوه الكلاب والوحوش عندما تجمع شفاهها إلى آذانها مكشرة عن أنيابها يمكن أن يكون كتلك الوجوه التي قال الله تعالى فيها : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** ﴿٢٢﴾ ﴾ [القيامة : ٢٢] . ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ** ﴿٣٨﴾ ﴾ [عبس : ٣٨] .

وقد أورد الشيخ عبدالعزيز السلمان هذا الحديث فى موارد الظمآن ثم قال : « وإنما يُضَاعَفُ عذابُ العالم فى معصيته ، لأنه عصى عن علم » .

قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر : ٩] ولأنه قدوة فيزلُّ بزلته خلق كثيرون، ولذلك قيل زَلَّة العالِم زلَّة العالَم، وقيل هو كالسفينة إذا غرقت غرق معها أمم لا يحصيهم إلا الله . . .) [١] .

رابعاً : وأخرج الطبراني في الكبير عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه :

قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أُناسًا من أهل الجنة ينطلقون إلى أُناسٍ من أهل النار ، فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا**

فاحش سببه فيما أرى . . اعتماد المؤلف رحمه الله على حفظه وإملاؤه أحاديث الكتاب من ذاكرته دون أن يرجع في ذلك إلي أصوله . . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . . والإمام أحمد في المسند) أخرجه أحمد فى المسند ٤ / ٢٤٢ برقم (١٢٢١٢) . ص ٥٣ ، ٥٤ بالها مش (مع تصرف يسير) .

(١) موارد الظمآن ٢ / ١٨ .

منكم ، فيقولون : إنَّا كنا نقول و لانفعل » (١) .

وأورد المنذري وعزاه للبزار عن أبي برزة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« مثلُ الذي يُعَلِّم الناسَ الخير وينسَى نفسَه ، مثل الفتيلة ، تُضِيء على الناس وتحرق نفسها »** (٢) .

وفي رواية عن جندب بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« مثلُ الذي يُعَلِّم الناسَ الخير وينسَى نفسَه ، كمثل السراج ، يُضِيءُ للناس ويحرق نفسه »** (٣) .

فحذار يا نفسي ، وحذار يا أخي الحبيب ، وإياك ثم إياك أن تكون هذا الفتيل أو السراج يستضئ الناس بك ثم تحرق . الحذر من أن تكون جسراً يعبر الناس عليه إلى الجنة ثم يلقى به في النار .

خامساً : وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

أن رسول الله ﷺ قال : **« ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أُمَّته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته و يقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ،ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »** (٤) .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير .

(٢) الترغيب والترهيب : ك العلم ، باب الترهيب من أن يعلم ولا يعمل ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقمي (١٢٦) .

(٣) المرجع السابق برقم ١٢٧ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : ك الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ٢ / ٢٢٢ .

فهذا أمر صريح من رسول الله ﷺ بمجاهدة هؤلاء الكذبة من الدعاة الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، وما ذلك إلا لخطورتهم على الأُمَّة .

سادسًا : وأورد المنذري في الترغيب والترهيب عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه :

قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تزول قَدَمَا عبدٍ يومَ القيامة حتى يُسْأَل عن عمره فيم أفناه ؟، وعن علمه فيم عَمِل فيه ؟ ، وعن ماله من أين اكتسبه ؟ ، وفيم أنفقه ؟ ، وعن جسمه فيم أبلاه** » [١] .

وفي رواية أخرى من طريق معاذ بن جبل رضي الله عنه فيها : « ... **وعن عَلمه ماذا عمل فيه ؟** » [٢] .

وفي رواية أخرى ـ أيضاً ـ من طريق ابن مسعود و فيها : « ... **وماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ ؟** » [٣] .

سابعاً : وأورد المنذري ـ أيضا عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه **قال :**

قال رسول الله ﷺ : « **إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان** » .

أرأيت : لمعرفة النبي ﷺ خطورة هذا الصنف من الأدعياء في الدعوة إلى الله تعالى ذكر النبي ﷺ أنه يخاف على الأمة منهم وذلك لأنهم يكونون مصدر فتنة للأمة ، يرونهم على علم ومعرفة ولكن أفعالهم تخالف أقوالهم !!.

---

(١) الترغيب والترهيب ١ / ١٢٥ وعزاه إلي الترمذي وذكر أنه قال عنه حسن صحيح ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٢٢ .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٢٣ .

(٣) المرجع السابق برقم ١٢٤ .

يراهم الناس فيعجبون بأجسامهم و هيأتهم ، وإن يقولوا يَسمع الناس لقولهم كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَة ... هم العدو فاحذرهم !! .

وقد حذر النبي ﷺ أُمَّته منهم ، وبيّن مدى خوفه ووجله على الأُمَّة من بعده من هذا الصنف من الدعاة .

فاحذر أخي الداعية أن تكون من هذا الصنف الذي أقلق النبي ﷺ وسبب له الخوف على دين الأمة ... وإن كنت منهم فتب إلى الله لأنك بوضعك هذا عندما تخوف وتقلق النبي ﷺ على الأُمَّة تؤذيه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦١] .



أحاديث ذكرها الحافظ المنذري
في التحذير من مخالفة القول للعمل

هذه أحاديث ذكرها الحافظ المنذري في التحذير من مخالفة القول للعمل ، ولكن في أسانيدها ضعف ، نذكرها للاستئناس وليس للاحتجاج فمن ذلك :

[١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ : « **الزبانية أسرع إلى فسقة القُراء منهم إلى عبدة الأوثان ، فيقولون يُبدأ بنا قبل عبدة الأوثان ؟، فيقال لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم** » (١) .

[٢] وعن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » (٢) .

[٣] وعن مالك بن دينار عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من عبد يخطب خطبه إلا الله عز وجل سَائلُه عنها ، أظنه قال : ما أراد بها** » . . . وكان مالك بن دينار إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع ثم يقول تحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله عز وجل سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به (٣) .

[٤] وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أشَدُّ الناسِ عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه علمه** » (٤) .

---

(١) الترغيب والترهيب ١ / ١٢٤ وقال الحافظ المنذري(رواه الطبراني وأبو نعيم وقال غريب من حديث أبي طوالة ... ولهذا الحديث مع غرابته شواهد) .

(٢) المرجع السابق ١ / ١٢٥وقال (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب ليس إسناده بالقوى)

(٣) المرجع السابق١ / ١٢٦ وقال (رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلاً بإسناد جيد) .

(٤) المرجع السابق١ / ١٢٧وقال (رواه الطبراني في الصغير والبيهقي) .

[٥]وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إني لا أتخوَّف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً ، فأما المؤمن فيحجزه إيمانه ، وأما المشرك فيقمعه كفره ، ولكن أتخوف عليكم منافقاً عَالِم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تُنكرون** » [١] .

[٦] وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال : « **إن الرجل لا يكون مؤمناً حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ، ويكون لسانه مع قلبه سواء ، ولا يخالف قوله عمله ، و يأمن جاره بوائقه** » [٢] .

[٧] وعن منصور بن زاذن قال : « نُبِّئتُ أن بعض من يُلْقَى في النار تتأذى أهل النار بريحه ، فيقال له ويلك ما كنت تعمل، ما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك ؟ فيقول كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي » [٣] .

[٨] وعن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال ﷺ : « **كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا وأشار بكفه ، وكل علم وبال على صاحبه إلا من عَمِلَ به** » [٤] .

[٩]وعن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى حيٍّ من قيس أعلمهم شرائع الإسلام. فإذا قوم كأنهم الإبل الوحشية طامحة أبصارهم ، ليس لهم همّ إلا شاة أو بعير، فانصرفت إلى رسول الله ﷺ ، فقال : «**يا عمار، ما**

---

(١) الترغيب والترهيب ١ / ١٢٧ وقال الحافظ المنذري (رواه الطبراني في الصغير والأوسط من رواية الحارث وهو الأعور وقد وثقه ابن حبان وغيره) .

(٢)المرجع السابق ١ / ١٢٨ وقال (رواه الأصبهاني بإسناد فيه نظر) .

(٣)المرجع السابق ١ / ١٢٨ وقال (رواه أحمد والبيهقي) .

(٤)المرجع السابق ١ / ١٢٧ وقال (رواه الطبراني في الكبير وفيه هانئ بن المتوكل تكلم فيه ابن حبان) .

عملت ؟ » ، فقصصت عليه قصة القوم وأخبرته بما فيهم من السهوة ، فقال : «يا عمار ألا أخبرك بأعجب منهم : **قوم علموا ما جهل أولئك ، ثم سهو كسهوهم** » (١) .

---

(١) المرجع السابق ١ / ١٢٧ وقال الحافظ المنذري رواه البزار والطبراني في الكبير .

المبحث الثالث
آثار وأقوال واردة في ذم مخالفة القول للعمل

لقد فهم كثير من أهل الإيمان والحكمة ما ورد في القرآن والسُّنَّة في ذم مخالفة القول للعمل، وأدركوا خطورة المسألة، فراحوا يذكرون أنفسهم ويذكرون غيرهم ويحذرونهم من باب قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [العصر : ٣] .

ومن باب قوله ﷺ :(الدين النصيحة..) (١) ، فأُثِرت عنهم آثار وأقوال نفيسة في هذا الشأن، أذكر لك جملة منها لعل الله أن ينفعنا بها وأن يجزيهم خيراً عما نصحوا لنا.

فمن تلك الأقوال :

[١] قال عمر رضي الله عنه : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم . قالوا: وكيف يكون منافقاً عليماً ؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل(٢) .

[٢] وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء (٣) .

[٣] وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ : يهتف العلم بالعمل فإن أجابه و إلا ارتحل (٤) .

---

(١) صحيح مسلم : ك / الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة برقم ٥٥ .
(٢) إحياء علوم الدين ١ / ٩٠ .
(٣) المرجع السابق ١ / ٩٠ .
(٤) المرجع السابق ١ / ٩٠ .

[٤] وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ : إني لأرحم ثلاثة ، عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا [١] .

[٥] وقال حجة الإسلام الغزالي ـ رحمه الله ـ وهو يتحدث عن وظائف وآداب المرشد المعلم : « ... أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يُكَذِّب قوله فعله ، لأن العلم يُدرك بالبصائر ، والعمل يُدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ، ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين ، والظل من العود ، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ، ومتى استوى الظل والعود أعوج ؟ ، ولذلك قيل في المعنى :

لا تنه عن خُلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته عالَم كثير ويقتدون به ، ومن سن سُنَّة سيئةً فعليه وزرها و وزر من عمل بها ، ولذلك قال عليّ رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان، عالم متهتك وجاهل مُتَنَسِّك، فالجاهل يغر الناس بتنسُّكه ، والعالم يغرهم بتهتكه [٢] .

[٦] وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله – : بلغني أن الفسقة من العلماء يُبْدَأُ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان [٣] .

[٧] وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل

---

(١) المرجع السابق ١ / ٩٠ .
(٢) إحياء علوم الدين ١ / ٨٨ ، ٨٩ .
(٣) المرجع السابق ١ / ٩٦ .

سبع مرات [١] .

[٨] وقال حاتم الأصم - رحمه الله - : ليس في القيامة أشد حسرةً من رجلٍ عَلَّم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به ، ففازوا بسببه وهلك هو[٢] .

[٩] وقال مالك بن دينار - رحمه الله - : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زَلَّتْ موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحتَ مُتهماً إذ عِبْتَ منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها [٣]

[١٠] وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - : مررت بحجرٍ بمكة مكتوب عليه " اقلبني تعتبر " فقلبته فإذا عليه مكتوب : " أنت بما تعلم لا تعمل ، فكيف تطلب علم ما لم تعلم ؟ " [٤] .

[١١] وقال ابن السماك - رحمه الله - : كم من مُذَكِّرٍ بالله ناسٍ لله ، وكم من مُخوِّفٍ بالله جرئ على الله ، وكم من مُقَرِّبٍ إلى الله بعيد من الله ، وكم من داعٍ إلى الله فار من الله ، وكم من تالٍ كتاب الله مُنسلِخ عن آيات الله [٥] .

[١٢] وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا [٦] .

---

(١) المرجع السابق ١ / ٩٦
(٢) إحياء علوم الدين ١ / ٩٦ .
(٣) إحياء علوم الدين ١ / ٩٦ .
(٤) إحياء علوم الدين ١ / ٩٦ .
(٥) إحياء علوم الدين ١ / ٩٦ .
(٦) سُنن الدارمي برقم ٢٦٠ وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء صحيح .

[١٣] وقال عيسى عليه السلام : مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد (١) .

[١٤] وقال ابن مسعود رضي الله عنه : أُنزل القرآن لِيُعمَلَ به فاتخذتم دراسته عملاً ، وسيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها (٢) .

[١٥] وكان مالك بن دينار – رحمه الله – يحدث بحديث " أن ناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون بم دخلتم النار فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تَعَلَّمنا منكم ، فيقولون إنَّا كُنَّا نقول ولا نفعل " ثم يبكي رحمه الله حتى ينقطع ، ثم يقول : تحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله – عز وجل – سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به (٣) .

[١٦] وعن منصور بن زادان قال : نُبِّئتُ أن بعضَ من يُلْقَى في النار يتأذى أهل النار بريحه فيُقَال له ويلك ما كنت تعمل ، ما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتُلينا بك وبنتنِ رِيحك ؟ ، فيقول : كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي (٤) .

[١٧] وقال علي رضي الله عنه : يا حملة العلم اعملوا به ، فإن العالم من عَلِم ثم عَمِل ووافق عملُه عِلْمَهُ ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ، ويخالف علمهم عملهم ، يقعدون حِلَقاً ، يباهي بعضهم بعضاً حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لا

(١) إحياء علوم الدين ١ / ٩٦ .
(٢) إحياء علوم الدين ١ / ٩٧ .
(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ص ١١٩ .
(٤) أورده ابن حجر في الزواجر ص ١٢٠ وقال رواه أحمد والبيهقي .

تصعد أعمالهم إلى الله عز وجل (١) .

[١٨] وقال الحسن البصري – رحمه الله –: العالم الذي وافق علمه عمله ، ومن خالف علمه عمله فذلك راوية سمع شيئاً فقاله (٢) .

[١٩] وقال سهل التُّستُري – رحمه الله – : العلم كله دنيا ، والآخرة منه العمل به ، والعمل كله هباء إلا الإخلاص، وقال: الناس كلهم موتى إلا العلماء ، والعلماء كلهم سكارى إلا العاملين ، والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين ، والمخلِص على وجلٍ حتى يدري ماذا يُختَم له به (٣) .

[٢٠] وقال عيسى عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه ، وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به ؟ (٤) .

[٢١] وقال أبو هريرة رضي الله عنه : مثل علِم لا يُعمَلُ به كمثل كنز لا يُنفَق منه في سبيل الله عز وجل (٥) .

[٢٢] وعن محمد بن شهاب الزهري قال : لا يُوثَق للناس عَمَلُ عامل لا يعلم ولا يُرضَى بقول عالم لا يعمل (٦) .

[٢٣] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : إنك لن تكون عالماً حتى تكون

(١) الخطيب البغدادي / اقتضاء العلم العمل ص٢٢ ، ط المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .
(٣) إحياء علوم الدين ١ / ٩٣ .
(٤) المرجع السابق ١ / ٩٣ .
(٥) اقتضاء العلم العمل ص٢٥ وقال الشيخ الألباني (إسناده حسن موقوف على الزهري) .
(٦) المرجع السابق ص ٢٥ .

متعلماً، ولن تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملاً [١] .

[٢٤] وقال أبو بكر الرازي : سمعت الخوَّاص يقول : ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العالم من اتَّبع العلم واستعمله واقتدى بالسُنن وإن كان قليل العلم [٢] .

[٢٥] وعن أبي عبد الله الروذباري قال : من خرج إلى العلم يريد العلم لم ينفعه العلم ، ومن خرج إلى العلم يريد العمل بالعلم نفعه قليل العلم [٣] .

[٢٦] وقال أيضاً : العلم موقوفُ على العمل والعمل موقوف على الإخلاص والإخلاص لله يُورثُ الفهم عن الله عز وجل [٤] .

[٢٧] وقال مالك بن دينار : إن العبد إذا طلب العلم للعمل كسره علمه وإذا طلبه لغير ذلك ازداد به فجوراً أو فخراً [٥] .

[٢٨] وعن ابن شوذب عن مطر قال : خير العلم ما نفع ، وإنما ينفع الله بالعلم من عَلِمَهُ ثم عَمِل به ، ولا ينفع به من علمه ثم تركه .

[٢٩] وعن حبيب بن عبيد الرحبي قال : تعلموا العلم واعقلوه وانتفعوا به ، ولا تعلموه لِتَجَمَّلُوا به ، فإنه يوشك إن طال بكم العمر أن يُتجَمَّل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه [٦] .

[٣٠] وقال الفضيل بن عياض : لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به فإذا عمل به كان عالماً [٧] .

---

(١) المرجع السابق ص٢٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٠ .
(٣) المرجع السابق ص ٣١ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٢
(٥) اقتضاء العلم العمل ص ٣٢ .
(٦) المرجع السابق ص٣٤ .
(٧) المرجع السابق ص ٣٧ .

[٣١] وقال عبد الله بن المعتز: علم بلا عمل كشجرة بلا ثمرة [١].

[٣٢] وقال محمد بن المنكدر: العلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل [٢].

[٣٣] وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : إن العبد يوم القيامة لمسؤول : ما عملت بما علمت [٣] ؟ .

[٣٤] وقال أيضاً : إن أخوف ما أخاف على نفسي أن يقال لي يا عويمر هل علمت ؟ فأقول : نعم ، فيقال لي : فماذا عَمِلتَ فيما عَلِمْتَ ؟.

[٣٥] وعن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ قال : ليس الإيمان بالتَّحَلِّي ولا بالتَّمنِّي ، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال ، ومن قال حسناً وعمل غير صالح رده الله على قوله ، ومن قال حسناً وعمل صالحه رفعه العمل ، وذلك بأن الله يقول : ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ .
[فاطر : ١٠] [٤] .

[٣٦] وعن حفص بن حميد قال: دخلت على داود الطائي أسأله عن مسألة وكان كريماً ، فقال : أرأيت المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب ، أليس يجمع آلته ؟ ، فإذا أفنى عمره في الآلة فمتى يحارب ؟، إن العلم آلة العمل ، فإذا أفنى عمره فمتى يعمل ؟ [٥].

[٣٧] وعن أبي عبيد القاسم بن سلام قال : سمعني عبد الله بن إدريس

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧ .
(٢) اقتضاء العلم العمل ص٤١ ،٤٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٦ .
(٤) المرجع السابق ص٤٢ ، ٤٣ .
(٥) المرجع السابق ص ٤٥ .

أتلهف على بعض الشيوخ فقال لي : يا أبا عبيد مهما فاتك من العلم فلا يفوتك العمل [١].

[٣٨] وعن يحيى بن معاذ الرازي قال : مسكين من كان علمه حجيجه ، ولسانه خَصِيمَه ، وفهمه القاطع بعذره [٢].

[٣٩] وعن أبي الحسين محمد بن أحمد بن سمعون الواعظ قال : كل من لم ينظر بالعلم فيما لله عليه فالعلم حجة عليه ووبال [٣] .

[٤٠] وقال الخطيب البغدادي : قرأت على ظهر كتاب لأبي بكر محمد بن عبد الله بن أبان الهيثي :

إذا العلم لم تعمل به كان حجة عليك ولم تُعْذَر بما أنت حاملُ
فإن كنت قد أبصرت هذا فإنما يُصَدِّق قولَ المرءِ ما هو فاعلُ

[٤١] وعن الشعبي قال : ليتني لم أكن علمتُ من ذا العلم شيئاً [٤].

[٤٢] وعن سفيان الثوري قال : ليتني لم أكتب العلم ، وليتني أنجو من علمي كفافاً ، لا لي ولا عليّ [٥].

[٤٣] وعن سفيان بن عيينة قال : (العلم إن لم ينفعك ضَرَّك) . وقال الخطيب البغدادي مُعلقاً على هذا : (قلتُ : إن لم ينفعه بأن يعمل به ضره بكونه حجة عليه) [٦] .

---

(١) المرجع السابق ص٤٥ .
(٢) اقتضاء العلم العمل ص٥٣ .
(٣) اقتضاء العلم والعمل ص٥٣ .
(٤) المرجع السابق ص ٥٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٥٥ .
(٦) المرجع السابق ص ٥٥ .

[٤٤]وعن أبي حازم قال : رضي الناس من العمل بالعلم ، ورضوا من الفعل بالقول (١) .

[٤٥] وعن شعبة قال : (ما أنا على شيء مقيم أخاف أن يدخلني النار غيره) (٢) . يعني العلم إذا لم يعمل به .

[٤٦]وعن مالك بن دينار قال : العالم الذي لا يعمل بعلمه بمنزلة الصفا إذا وقع القطر عليه زلق عنه (٣) .

[٤٧] وعن وهيب بن الورد قال : ضُرِبَ مثل عالم السوء فقيل: مثل عالم السوء كمثل حجر دُفِعَ في ساقية فلا هو يشرب من الماء ولا هو يخلي عن الماء فيحيي به الشجر ولو أن علماء السوء نصحوا لله في عباده فقالوا : يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم به عن نبيكم وصالح سلفكم فاعملوا به ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفشلة ، فإنا قوم مفتونون ، كانوا قد نصحوا لله في عباده ، ولكنهم يريدون أن يَدْعُوا عباد الله إلى أعمالهم القبيحة فيدخلوا معهم فيها (٤) .

[٤٨]وعن سفيان بن عُيينة قال : قال عيسى عليه السلام : يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم ، والآخرة تحت أقدامكم ، قولكم شفاء ، وعملكم داء ، مثلكم مثل شجرة الدُّفْلى تُعْجِبَ من رآها وتقتل من أكلها (٥) .

[٤٩] وعن وهب بن منبه أن عيسى عليه السلام قال: ويلكم يا عبيد الدنيا ماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ، كذلك لا يغني عن العالم

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص٦١ .
(٢) المرجع السابق ص ٦٢ .
(٣) المرجع السابق ص٦٧ .
(٤) اقتضاء العلم العمل ص ٦٧ .
(٥) اقتضاء العلم العمل ص ٦٧ . وشجرة الدفلي شجر مر أخضر حسن المنظر دائم الأزهار يكثر في الأودية .

كثرة علمه إذا لم يعمل به ، ما أكثر أثمار الشجر ، وليس كلها ينفع ولا يؤكل ، وما أكثر العلماء وليس كلكم ينتفع بما علم ، فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم لباس الصوف ، مُنكِّسين رؤوسهم إلى الأرض يَطْرِفُون من تحت حواجبهم كما ترمق الذباب ، قولهم مُخالِف فعلهم ، من يجتني من الشوك العنب ، ومن الحنظل التين ،كذلك لا يثمر قول العالم الكذاب إلا زوراً ، إن البعير إذا لم يوثقه صاحبه في البرية نزع إلى وطنه وأصله ،وإن العلم إذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره ،وتخلى منه وعطّله ،وإن الزرع لا يصلح إلا بالماء والتراب ، كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل ، ويلكم يا عبيد الدنيا إن لكل شئ علامة يعرف بها وتشهد له أو عليه ، وإن للدين ثلاث علامات يُعْرَفُ بهن : الإيمان ، والعلم ، والعمل (١) .

[٥٠] وعن الحسن البصري – رحمه الله – قال : إنه تعلم هذا القرآن عبيد وصبيان لم يأتوه من قبل وجهه ولا يدرون ما تأويله ، قال تعالى ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ** ﴾ [ص : ٢٩] ، ما تدبر آياته ؟ ، اتباعه بعمله ، وإن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن يقرأه . يقول أحدهم : يا فلان تعال أُقارئك ، متى كان القراء تفعل هذا ؟ ، ما هم بالقراء ولا الحلماء ولا الحكماء ، لا أكثر الله في الناس أمثالهم (٢) .

[٥١] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا يغرركم من قرأ القرآن إنما هو كلام نتكلم به ولكن انظروا من يعمل به (٣) .

[٥٢] وعن الشعبي قال : إنا لسنا بالفقهاء ولكنا سمعنا الحديث فرويناه

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص ٦٨ .
(٢) المرجع السابق ص٧٠ ، ٧١ .
(٣) اقتضاء العلم العمل ص٧١ .

ولكن الفقهاء من إذا علم عمل (١) .

[٥٣]وعن وهب بن منبه قال : يقول الله تعالى فيما يعيب به أحبار بني إسرائيل : (أتفقّهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، تلبسون جلود الضأن ، وتخفون أنفس الذئاب وتنقون القذى من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام ، وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ، ولا تعينونهم برفع الخناصر ، تطولون الصلاة ، وتُبَيِّضون الثياب ، وتغتصبون مال اليتيم والأرملة، بعزتي حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأي كل ذي رأي وحكمة الحكيم) (٢) .

[٥٤] وقال محمد بن يوسف الجوهري قلت لبشر بن الحارث : أُقْرِئَ أبا الوليد الطيالسي منك السلام ؟ ، وأردت أن أخرج إلى البصرة ، فقال لي : إن أبا الوليد يموت وأنت تموت ، تريد أن يقال : سمع ، قد سمعت ، انظر فيما سمعت فإنك إن لم تعمل به كان عليك وبالاً في القيامة " (٣) .

[٥٥] وعن سهل بن مزاحم قال : الأمر أضيق على العالم من عقد التسعين (٤) ، مع أن الجاهل لا يعذر بجهالته ، لكن العالم أشد عذاباً إذا ترك ما علم فلم يعمل به " (٥) .

[٥٦] وقال الخطيب البغدادي – رحمه الله – : وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها ، كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها وراعى واجباتها ، فلينظر امرؤٌ لنفسه وليغتنم وقته ، فإن الثواء (٦) قليل ، والرحيل قريب ، والطريق مخوف ،

---

(١) المرجع السابق ص٧٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٨، ٧٩ .
(٣) المرجع السابق ص٨٩
(٤) هو عقد الأصابع للإشارة للعدد ٩٠ .
(٥) اقتضاء العلم العمل ص١٥ .
(٦) معنى الثواء : أي الإقامة .

والاغترار غالب، والخطر عظيم ، والناقد بصير ،والله تعالى بالمرصاد ، وإليه المرجع والمعاد ، ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ . [الزلزلة : ٧ – ٨] (١) .

[٥٧]وعن سفيان قال: قال رجل لمحمد بن المنكدر ولرجل آخر من قريش : الجد الجد ، والحذر الحذر فإن يكن الأمر على ما ترجون كان ما قدمتم فضلاً ، وإن يكن الأمر على غير ذلك لم تلوموا أنفسكم (٢) .

[٥٨]وقال علي بن حسن القرني عن المحتسب وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر : ثم إن أمره غيره بما لا يأتمر به هو وإنكاره ما لا يرتدع عنه مستقبح ، وفي الغالب يكون ذلك سبباً في الإغراء بعدم امتثال الناس لما يأمر به بل إلى توجيه السُّخرية واللَّوم والإنكار عليه يقول الشاعر :

إن قوماً يأمرون بالذي لا يفعلون لمجانين وإن هم لم يكونوا يُصْرَعُون (٣)

[٥٩]وقال الشيخ علي محفوظ في صفات الداعية : العمل بعلمه فلا يُكَذِّب فعله قوله ولا يخالف ظاهره باطنه بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به ولا ينهى عن الشيء ما لم يكن هو أول تارك له, ليفيد وعظه ويثمر إرشاده ، فأما إن كان يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر وهو واقع فيه فهو بحاله هذه عقبة في سبيل الإصلاح ، وهيهات أن ينتفع به فإنه فاقد الرشد في نفسه فكيف يرشد غيره .. وعلى الجملة فحق الواعظ أن يتعظ ثم يَعظ ، ويبصر ثم يُبصِّر ، ويهتدي ثم يهدي ، ولا يكون دفتراً يفيد ولا يستفيد ، ومسنًّا يستحدّ ولا يقطع وسراجاً يضيء للناس ويحرق نفسه (٤) .

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص١٦ .

(٢) المرجع السابق ص٩٦ .

(٣) د/ علي بن حسن القرني : الحسبة في الماضي والحاضر ١ / ١١٧ ط مكتبة الراشد ، الرياض نقلاً عن " نظام الحسبة لابن

(٤) الشيخ/ علي محفوظ : هداية المرشدين ص٩٠ – ٩٥ الاعتصام ، القاهرة .

[٦٠] وقال الضحاك : جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : يا ابن عباس إني أريد أن آمر بالمعرف وأنهى عن المنكر فقال ابن عباس : أبلغت ذلك ؟ قال : أرجو ، قال : إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل ، قال : وما هن ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة : ٤٤] ، أَحْكَمْتَ هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : فالثانية ، قال قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف : ٢-٣]، أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : فالثالثة ، قال قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [هود : ٨٨] ، أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : فابدأ بنفسك [١] .

[٦١] وقال إبراهيم النخعي - رحمه الله - : إني لأكره القصص لثلاث آيات ، قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [٢] .

[٦٢] وقال الدكتور / محمود محمد عمارة وهو يتحدث عن العنصر الإيجابي في شخصية الخطيب : ولابد أن يبرز العامل الإيجابي في شخصية الخطيب .. فيترجم أقواله إلى أفعال ، هي أعلى صوتاً من بيانه مهما كان رائقاً مقنعاً ، لقد اقترح المستمعون على واعظهم يوماً أن يخطب في العتق وثمرته وثوابه .. وكلما ألحُّوا في الطلب .. ألحَّ في الهرب! ومضى عام أو يزيد ..

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ١٣٢ .
(٢) المرجع السابق ١ / ١٣٣ .

والرجل لا يُبديُ ولا يُعيد ! وفجأة وقف الواعظ خطيباً في قومه مُبيِّناً لهم أهمية العتق وصلته بكرامة الإنسان وموقعه بين فضائل الإسلام ، ومع إعجاب المستمعين .. ولكن الإعجاب لم يُسكت غريزة حب الاستطلاع في قلوب الناس عن سر تأخير الحديث عن العتق رغم إلحاح القوم .. وقدرة المتحدث .. وجاءهم الجواب مؤكداً صدق الخطيب مع نفسه وفوق ذلك مع ربه سبحانه .. لقد كان عليه - كي يكون منطقياً - أن يدبر في عام كامل ثمن رقيق ثم يحرره لله تعالى لينطلق لسانه بعد ذلك متحدثاً في موضوع كان أسبق الناس تحقيقاً له ! إن الناس تسمع بأعينها .. قبل أن تسمع بآذانها .. تسمع الأسلوب الطلي .. والعرض القوي .. مدركة في نفس الوقت أن هناك أمراً أكثر قوة هو رؤية الخطيب ملتزماً بما يقول .. ودون ذلك .. فلا استماع .. ولا ثقة .. إنه يكون كالإبرة تكسو الناس وهي عريانة .. وكالذبالة تضيء للناس وهي تحترق ، أو كالبخور ينفع غيره بمضرة نفسه .. إن الخطيب يعيش بين الناس في الحي يرونه ويسلطون عليه الأضواء .. مرددين البصر بين ما يسمعون من أقوال وما يشاهدون من أحوال .. فإذا بدا التناقض بين القول والعمل .. إذا لم يحقق الداعية في حياته عنصرها الأساسي فكان قدوة الجمهور .. والصورة الإيجابية لكل ما يقول ضاعت الثقة الرابطة بين الجميع ، وفقد الواعظ بفقدها معنى القيادة والريادة [1] .

[٦٣] وقال الشيخ/ محمد الغزالي - رحمه الله - كلاماً جيداً وهو ينعى أزمة التَّديُّن الفاسد وبيّن أن علة ذلك في المقام الأول الدُّعاة الكذابون الذين تخالف أقوالهم أفعالهم ، قال : " رواج العُمْلة الزائفة بين بيئات التدين واستطاعة كثير من الماكرين أن يستخفي وراء مراسم الدين وهو فارغ الباطن من

(١) د/ محمود محمد عمارة : الخطابة في موكب الدعوة ص١٣٨- ١٣٩ ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٨٦ م ، ١٤٠٧هـ بتصرف يسير .

حقيقته , ولقد كنت أحس أحياناً أن كلمة " الله " - في هذه البيئات - هي آخر كلمة تذكر ويقصد بها مدلولها ، وأن أغلب المنتمين إلى الدين يدارون عاهات نفسية وعقلية ، أو يعوضون نقصاً مادياً أو أدبياً .

أما الدخول في الدين على أنه التزام إنسان سويّ بفرائض جليلة وأعمال عظيمة فذاك ما لا يُحْسِنُون ، بل ما لا يُطِيقون . . الصبي يتظاهر بصمت الوقار، فهل صمته دين ؟ والمحروم يتظاهر بالزهد، فهل زهده عفة ؟ والكذاب يوجل من المجتمعات ، فهل انسحابه عزلة؟ ، كما أن كثيراً من أدعياء التدين يُغَطُّون مسالكهم الناقصة بعناوين دينية . ويسلكون ميادين العبادة والتقوى وهم أبعد خلق الله عن تلك المعاني الطاهرة .

وقد لاحظ الأذكياء من قديم الزمن ذلك التناقض المثير ، ونددوا به ، وحملوا أقسى الحملات على أصحابه . . إلا أن الحملة على التدين المصطنع شيء آخر غير الحملة على الدين الحق .

قال أبو العلاء - يصف مُقْتَرِفي الرذائل الذين يدعون الناس إلى الله:

دَعُوا وما فيهموا زاكٍ ولا أحد ... يخشى الإله ، فكانوا أكلباً نبحاً
وليس عندهمو دين ولا نسك ... فلا تغرك أيدٍ تحمل السبحا
وكم شيوخ غَدَوْا بيضاً مفارقهم ... يُسَبِّحُون ، وباتوا في الخنا سبْحاً
ولو تعقل الأرض ودت أنها صَفُرت ... منهم فلم ير ناظر شبحاً

وقال في الواعظ الذي يطلب الدنيا ويُنَفِّر الناس منها :

بخيفة الله تعبدتنا ... وأنت عين الظالم اللاهي
تأمرنا بالزهد في هذه الد ... نيا وما همك إلا هي

ونحن نقر هذه الآلام التي اعتلجت في نفس " المعَرِّي " ، ودفعته إلى إرسال هذه النفثات الحارة اللاذعة ... وصيحات الإنكار على تجار الدين والمنافقين به

ليست وليدة الخلق الناقد لدى بعض الناس.

فقد أحصينا من كتاب الله وسُنَّة رسوله جملاً أملأ بالحق ، وأروع مما ينظم الشعراء .

كما أثبت العلماء الراسخون في أسفارهم فصولاً حافلة بالآثار التي تنعي على المرائين والمتأكلين وذوي النيات المغشوشة .

بل إن صاحب الرسالة العظمى صلوات الله وسلامه عليه يعتبر الثائر الأول على فنون الاحتراف والدجل باسم الدين (١) .

[٦٤] وقال ابن المقفع ـ رحمه الله ـ كلاماً جميلاً نافعاً في كتابه " الأدب الصغير " ، وهو في هذا الكتاب يسوق النصائح والتوجيهات للعقلاء فقط ، فمعظم عباراته ونصائحه يقول في أول توجيهها : " وعلى العاقل ... " ومما قال بخصوص مسألة القول والعمل : ومن نصَّب نفسه للناس إماماً في الدين فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والأخدان ، فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه ، فإنه كما أن كلام الحكمة يونق الأسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم (٢) .

[٦٥] **وقال أيضاً** : مما يدل على علم العالم معرفته ما يدرك من الأمور وإمساكه عما لا يدرك وتزيينه نفسه بالمكارم ، وظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه فخر ولا عُجب ، ومعرفته زمانه الذي هو فيه وبصره بالناس ، وأخذه بالقسط ، وإرشاده المسترشد ، وحسن مخالقته خلطائه ، وتسويته بين قلبه

---

(١) الشيخ/ محمد الغزالي : مع الله ـ دراسات في الدعوة والدعاة ص٢١٥ - ٢١٧ ، ط . دار الكتب الإسلامية ـ القاهرة ١٩٨٥م .

(٢) ابن المقفع : الأدب الصغير ص٢٣ ، ٢٤ ط جمعية العروة الوثقى الخيرية بالإسكندرية الطبعة الأولى ١٩١١م.

ولسانه وتحريه العدل في كل مكان (١) .

وقال أيضاً : من علامات اللئيم المخادع أن يكون حسن القول ، سيء الفعل ، بعيد الغضب ، قريب الحسد ... (٢) .

[٦٦] وقال أيضاً : لا يتم حسن الكلام إلا بحسن العمل ، كالمريض الذي قد علم دواء نفسه ، فإذا هو لم يتداو لم يغنه علمه (٣) .

وبعد .. فيا أخي هذا كمّ – وإن بدا كثيراً – إلا أنه قليل من كثير من أقوال العلماء وأرباب التجارب من سلفنا الصالح ، كانوا يتهمون أنفسهم بالتقصير وإن عملوا اتهموها بالرياء ، وما بلغوا ما بلغوا من الدرجات العلى إلا كما قال الخطيب البغدادي " بإخلاص المعتقد والعمل الصالح والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا " (٤) .

وإذا كنت قد أدركت خطورة ومذمة هذا الفعل الشائن وهو مخالفة القول للعمل فهيا إلى العمل والصدق ولا تسوِّف .

وإني أبعث إليك برسالة ـ وإلى نفسي ـ بعثت إلى رجل من مشاهير الزهاد وأهل الصلاح برغم صلاحه ، لكنهم كانوا يتواصون بالحق وبالصبر .

أخرج الخطيب البغدادي بسنده عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : كتب إليّ محمد بن سمرة السائح بهذه الرسالة :

« أيْ أخي إياك وتأمير التسويف على نفسك وإمكَانه من قلبك فإنه مَحل الكلال ومؤمل التلف ، وبه تقطع الآمال ، وفيه تنقطع الآجال ، فإنك إن فعلت أدلته من عزمك وهواك عليه فعلاً ، واسترجعا من بدنك من السآمة ما قد ولّى

(١) المرجع السابق ص ٤٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٤) اقتضاء العلم العمل ص١٥ .

عنك فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك بنافعة ، وبادر يا أخي فإنك مبَادَرٌ بك ، وأسرع فإنك مسروع بك ، وجدّ فإن الأمر جدّ ، وتيقظ من رقدتك وانتبه من غفلتك ، وتذكر ما أسلفت وقصرت وفرطت وجنيت وعملت ، فإنه مثبت محصى ، فكأنك بالأمر قد بَغَتَك ، فاغتبطت بما قدمت أو ندمت على ما فرطت) [١] .

(١) المرجع السابق ص١١٤ .

المبحث الرابع
أشعار قيلت في ذم مخالفة القول للعمل

إن الحكماء العقلاء من الشعراء هالهم خطورة مسألة القول بغير عمل ، فنظموا في ذلك أشعاراً ، لعلها تكون موعظة لمن يتعظ ، فمن ذلك :

[١] قال : أبو الأسود الدؤلي :

يا أيها الرجل المعلِّم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كَيْمَا يَصِحُّ به وأنت سقيم
لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله ... عار عليك إذا فَعَلْتَ عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقْبَل ما وَعَظْتَ ويُقْتَدَي ... بالعلم منك وينفع التعليم

[٢] وقال آخر :

لا تَلُمْ المرءَ على فعلهِ ... وأنت منسوبٌ إلى مثله
من ذَمَّ شيئاً وأتى مثله ... فإنما يُزرِى على عقله

[٣] وقال الأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين : (١)

كم كلام من هواة القول ... محبوك النسيج
ما به شيء من المضمون ... للفكر النضيج

---

(١) جزء من قصيدة له بعنوان (تنوير و تضليل) بمجلة الأزهر عدد شعبان ١٤١٥ / يناير ١٩٩٥م .

إنه في كفة الميزان | ضرب من نئيج (١)
إنما يشري العقول القول | رف راف الأريج

وصدق فما أكثر هواة القول الذين يحبكون نسيج أقوالهم ويدبجون الكلام المنمق ، يقرعون به أسماع الناس في الليل والنهار ، بعجيج أصواتهم ، وهو فارغ من المضمون ، لأن صاحبه بعيد عن العمل .

[٤] وقال الأستاذ / السيد الصديق حافظ :

سقوطك فتنه تؤذي الشعورا | أتحلف كاذبًا وتقول زورًا !
وتأمرنا بمعروف وتأتي | من الأفعال منكورا حقيرًا
كأنك لم تعد ترجوا حسابًا | ولا بعثا هناك ولا نشورًا
أتنصر باغيا فظا غشومًا | ترضى أن تكون له ظهيرًا
وتخذل حق مظلوم بريء | وتصبح أنت للباغي نصيرًا
كتمت شهادة وغمطت حقًا | لترضى عُصْبَةً فقدوا الضمير
ومن كتم الشهادة جَرَّ خِزْيًا | ومن حابى أتى حوبا كبيرًا
أتخشى الناس ؟ ويلك كنت أولى | بأن تخشى العذاب المستطير
إذا وقف الخلائق يوم حشر | وقارف شاهد الزور السعير
لقد وجد البغاة لديك ردءًا | لأردئهم وأسوئهم بصيرًا
بدنياك تشتري دنيا ضلال | كأنك لن تموت ولن تحورا
خلائق لو تمثلهن قبر | لنفر منه من سكنوا القبورًا

وكان الشاعر قد صدر لهذه القصيدة بعبارة قال فيها : (خمسون عاما قضاها يعظ الناس ، وفي لحظة صارت الأعوام ركاما أمام تجربة وجد فيها الحق

(١) النئيج : هو الصياح والضوضاء .

يطالبه بأن يؤدي الشهادة على أخيه .. فكان للمجرمين ظهيرا) (١) .

ويالها من خمسين سنة في الموعظة لو أحسن الواعظ ووافق فعله قوله ، لأخذ أجر كل من دعاهم في هذه الخمسين سنة ، فإن من دل على هدى كان له مثل أجور من دلَّهُم ؛ دون أن يَنقُصَ من أجورهم شيئا ، ويا له من فعل شنيع أن يقول داعية وهو يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ألا أخبركم بأكبر الكبائر** ؟، قالوا بلى يا رسول الله ، **فقال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان مُتَّكئًا فجلس فقال : ألا وقول الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت** » (٢) .

ثم إذا به بعد هذا الحديث يشهد زورا وبعد خمسين سنة قضاها وهو يعظ الناس كما قال القائل ! اللهم إنا نعوذ من شهادة الزور وقول الزور .

[٥] وقال البوصيري :

أستغفر الله من قولٍ بلا عمل ... لقد نسبتُ به نسلاً لذي عُقم
أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ... وما استقمتُ فما قولي لك استقم
ولا تزودتُ قبل الموت نافلة ... ولم أصل سوى فرض ولم أصُم
ظلمتُ سُنَّة من أحيا الظلام إلى ... أن اشتكت قدماه الضُّرَّ من ورم

وهكذا ينبغي أن يستغفر الله تعالى كل واعظ من قول بلا عمل ، ومعنى قول البوصيري (نُسبت به نسلاً لذي عقم) .

يشبه الذي يقول ولا يعمل بالعقيم الذي لاينجب، ثم هو يقول متعجباً من حال من يأمر بالخير ولا يأتمر به ولم يزل حاله في اعوجاج كيف يقول للناس استقيموا ؟.

---

(١) قصيدة بعنوان (شاهد زور) بمجلة الأزهر عدد شعبان ١٤١٥ هـ/ يناير ١٩٩٥م .
(٢) رواه البخاري برقم ٦٢٧٣ الاستئذان ؛باب من اتكأ بين يدي أصحابه ١١ / ٧٨ .

[٦] **وقال الأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين :** (١)

مُـــدَّعِي نُصــحي وإرشـــادي ... بـــــفكر منـك أعـــــوج
يـا غـــــوى الـوعـظ دَعْـنـي ... أنـت للتَّـــقْـــوِيم أحــــوج
فـــي وُعــــــــورٍ وهــــاد ... هـل يقـــود الركب أعـــرج
أو بسلــــيط أرعـن الـــت ... فـكـيــــــر والمنطـوق أهـوج
ألـف كـــــلامـــا يظـل ... التَّـــائه الحـــران عـــوسج (٢)

وهذا هو لسان حال كل من يسمع من شخص قولاً ويرى من فعله خلافه ، يقـول له أنت للتقـويم أحـوج ، كيف تُقَـوِّمني وأنت أعوج ، تحب الصدارة والقيادة ولكن في الأماكن الوعرة والمهام الصعبة لا يصلح لقيادة الركب أعرج ، فكأن الذي يقول ولا يعمل يبدو في نظرالناس بصورة غير سوية فيها العرج والعجز حتى وإن كان سليم الحواس .

[٧] **وقال أيضا :** (٣)

أيـهـــا الـداعـي لـديـن الله كـن عـــفـــاً رفـــيـــقـــاً
واجــعـل الـبـــرهـان والحــسنى إلى العــقـل طـريقـاً
لاتقـــدم من علـوم نِلْتَـــهَـــا إلا رحـــيـــقـــاً
كُـنْ بإكـــبـــار وإجـــلال لما تلقي خليـــقـــاً
دعك ممن صـــار مــفـــتـــوناً بـدنـيـــاه غـــريـقـــاً
إنَّ وعظ الناس بالأخـــلاق أجْـــدَى من كـــتـــاب

---

(١) من قصيدة بعنوان (الانسان لا الزمان) بمجلة الأزهر عدد ذى الحجة ١٤١٥ / مايو ١٩٩٥ م .

(٢) العوسج : هو نوع نبات شائك من الفصيلة الباذنجانية / انظر المعجم الوجيز ص ٤١٨ .

(٣) قصيدة بعنوان (الدعوة إلى الله) بمجلة الأزهر ـ عدد ذي الحجة ١٤٢١ ـ مارس ٢٠٠١ م .

قـد سـرى الإسـلام قـبـلاً بين أمـصـار وغـاب
لا بسـيـف أو بمال أو بتـنـمـيـق الخطاب
بـل بأخـلاق كنفح الطيب أو عـزف الرباب
قد رأى الإنسان فيها الصدق في الدنيا الكذاب
قـبـل أن تدعـوا إلى الإيمان كن في الناس قـدوة
قـيـل من أخـلاقـه عطر له في النفـوس نشـوة
وبريق من فـعـال يجـذب الأنظار نَحْـوَه
ومـزيد من علوم الدين في وَعْي وصـحـوة
إنه النور الذي لا تبلغ الألبـاب شـأوه

[٨] **وقال مسلم بن عمرو** : (١)

مـا أقبح التزهيد من واعـظ ... يُـزهّد الناس ولا يَـزْهَـد
لو كان في تزهيده صادقًا ... أضحى وأمسى بيته المسجد
إن رفض الدنيا فما باله ... يستمنح الناس ويَسْتَرفِد
والرزق مقسوم على من ترى ... يناله الأبيض والأسود

[٩] **وقال آخر** : (٢)

يا واعظ الناس قد أصبحت مُتَّهمًا ... إذا عبت فيهم أموراً أنت تأتيها
تعيبُ دنيا وناساً عاملين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

نعم : إنه لقبيح جداً أن يقوم الواعظ منا في الناس يحذرهم من طول الأمل

(١) **انظر** : تفسير القرطبي ١ / ٣٦٧ ط دار الكتاب العربي ١٩٦٧ .
(٢) **انظر** : في رحاب التفسير : للشيخ : عبد الحميد كشك ١ .

وحب الدنيا ونسيان الآخرة ... وهو أطول الناس أملاً في الدنيا، وأكثرهم إعراضاً عن الآخرة !!

إنه كالطبيب الذي يرشد المرضى إلى العلاج ولا يتناوله .

[١٠] قال أبو عمرو بن مطر :

حضرت مجلس أبي عثمان الحيرى الزاهد فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير ، فسكت حتى طال سكوته ، فناداه رجل كان يعرف بأبي العباس : تُرى أن تقول في سكوتك شيئًا ؟ .

فأنشأ يقول :

وغـيـرُ تقي يأمـرُ الناس بالتُّـقَى   طبـيـبٌ يداوي والطبـيـبُ مـريضٌ

قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج (١) .

[١١] وقال آخر:

إن قومًا يأمرون بالذي لا يفعلون   لمجانين وإن هم لم يكونوا يُصرَعُون

وهذا حق ، وانظر كيف قال الله لأحبار بني إسرائيل : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)** ﴾ [البقرة : ٤٤] ، أي أين عقولكم وأنتم تخالفون إلى ما تنهون الناس عنه وتتأخرون عن فعل ما تأمرونهم به !! .

[١٢] أنشد محمد بن أبي علي الأصبهاني : (٢)

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل   لا ينفع العلم إن لم يَحْسُن العمل
والعلم زَيْن وتقوى الله زينته   والمتقدمون لهم في علمهم شغل

---

(١) تفسير القرطبي ١ / ٣٦٧ .
(٢) اقتضاء العلم العمل ص ٣٨ .

وحـجـة الله يا ذا العلم بالغة ... لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل
تعلَّم العلمَ واعمل ما استطعت ... لا يُلهينَّك عنه اللهو والجدل
وعَلِّم الناس واقصد نفعهم أبدًا ... إياك إياك أن يعتادك الملل
وعِظْ أخاك برفق عند زلَّته ... فالعلم يعطف من يعتاده الزلل

[١٣] وقال أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبان الهيثي : (١)

إذا العلم لم تعمل به كان حجة ... عليك ولم تُعْذَر بما أنت حامل
فإن كنت قد أبصرت هذا فإنما ... يُصَدِّقُ قولَ المرء ما هو فاعل

[١٤] وأنشد أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الصوري لنفسه : (٢)

كم إلى كم أغدو إلى طلب العلم ... مجداً في جميع ذاك حفياً
طالباً منه كل نوع وفن ... وغريب ولست أعمل شيئاً
وإذا كان طالب العلم لا يعمل ... بالعلم كان عبداً شقياً
إنما تنفع العلوم لمن كان ... بها عاملاً وكان تقياً

[١٥] وقال بعض الزهاد : (٣)

لم نُؤت من جهلٍ ولكننا ... نستر وجه العلم بالجهل
نكره أن نَلْحَنَ في قولنا ... ولا نبالي اللَّحْنَ في الفعل

وهذا حق فكثير منا ـ الدعاة ـ قد يكون حريص كل الحرص على أن لا يُؤْثَر عنه لحن في كلامه وخطابه ، وقد لا يبالي باللحن في العمل و الفعل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص ٥٥ .
(٢) السابق ص ٥٧ .
(٣) اقتضاء العلم العمل ص ٩٢ .

[١٦] وأنشد أبو الفضل الرياشي : (١)

ما من روى علماً ولم يعمل به فكيف عن وتغ الهوى بأديب
حتى يكون بما تعلم عاملاً من صالح فيكون غير معيب
ولقلَّما تجدي إصابة صائب أعماله أعمال غير مُصِيب

وبعد فهذه بعض أشعار قيلت في ذم مخالفة القول للعمل لعل الله أن يجعل فيها لنا عظة نتعظ بها ، اللهم اجعلنا ممن يقولون فيعملون ، واجعلنا ممن يعملون فيخلصون .

(١) السابق ص ٦٣ ؛ (والوتغ هو : الهلاك والفساد والإثم) .

المبحث الخامس

أقوال العلماء في استمرار أو اعتزال من يقول ولا يفعل

في هذا المبحث نعرض أقوال العلماء في هذه المسالة الخطيرة وهي :

هل يستمر من يقول ولا يفعل في مجال الوعظ أم أنه يعتزل ، ولا يجوز أن يأمر وينهى إلا من يعمل بكل ما يقول ؟

لقد تناول العلماء هذه المسالة بالبحث والدراسة والتحقيق لأهميتها وخطورتها فإما أنه يجوز الاستمرار مع الخلل الواقع ، أو الاعتزال وساعتها قد لا يوجد من يعظ .

فابن كثير - رحمه الله تعالى - يقول عند تفسير قوله تعالى - :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة : ٤٤] .

والغرض أن الله تعالي ذمهم علي هذا الصنيع ونبههم علي خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، وليس المراد ذمهم علي أمرهم بالبر مع تركهم له ، بل على تركهم له فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب علي العالم ، ولكن الواجب و الأولي بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام :

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

فكلٌ من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الأخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف ، وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي

لا ينهى غيره عنها وهذا ضعيف ، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية فإنه لا حجة لهم فيها، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، وقال مالك . . سمعت سعيد بن جبير يقول لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شئ ما أمر أحدٌ بمعروف ولا نُهيَ عن منكر ، وقال مالك : وصدق ، من ذا الذي ليس فيه شئ ؟ قلت لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعل المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة ، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم ،ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك [١] .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يتحدث عن شروط المحتسب :

العدالة : فقد اعتبرها قوم ، وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ** ﴾ ، وقوله تعالى :﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** (٣) ﴾ وربما بما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« مررتُ ليلة أُسرِيَ بي بقوم تُقرض شِفَاهُهُم بمقاريض من نار : فقلتُ : من أنتم ؟ ، فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه ، وننهى عن الشر ونأتيه » ، وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام عظ نفسك فإن اتعظْتَ فَعظ الناس، وإلا فاستحى مني ، وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء، وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح، فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره ؟ ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ ، وكل ما ذكروه خيالات ، وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب ، وبرهانه أن تقول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها ؟ فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع إذ لا عصمة للصحابة فضلاً

(١) تفسير القران العظيم ١ / ١٣١ .

عمن دونهم . . . ولهذا قال سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، إلا من لا يكون فيه شئ ، لم يأمر أحدٌ بشئٍ فأعجب مالكاً ذلك من سعيد بن جبير . .) (١) .

وقال أبو عبد الله العقباني التلمساني من فقهاء المالكية :

(اختلف في العدالة هل هي صفة في المحتسب أم لا ؟، فاعتبر قوم شرطيتها ورأو أن الفاسق لا يُغَيِّر ، وأبى اعتبارها آخرون ، وذلك هو الصحيح المشهور عند أهل العلم ، لأن ذلك من الشروط الواجبة على الشخص في رقبته كالصلاة ، فلا يُسقطه الفسق ، كما لا يسقط وجوب الصلاة بتعلق التكليف بأمر الشرع قال عليه الصلاة والسلام : « **من رأى منكم مُنكراً فليغيره** » وليس كونه فاسقاً أو ممن يفعل ذلك المنكر بعينه يخرجه عن خطاب التغيير .

وقال ـ ابن العربي المالكي أيضًا ـ : ليس من شرطه أن يكون عدلاً عند أهل السُّنَّة ، لأن العدالة محصورة في قليل من الخلق والنهي عن المنكر عام في جميع خلق الناس . .) (٢) .

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ :

« قال العلماء : ولا يُشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال فمثلاً فاعل ما يأمر، مجتنباً ما ينهى عنه ، بل عليه الأمر وإن كان مُخلاً بما يأمر به ، والناهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيئان : أن يأمر نفسه وينهاها ، ويأمر غيره وينهاه فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر ؟ . . » (٣) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ :

(يجب الأمر بالمعروف لمن قدر عليه ولم يخف على نفسه منه ضرراً ولو

(١) إحياء علوم الدين ٢ / ٤٤٤ .

(٢) **انظر** : أحكام القرآن الكريم لابن العربي ١ / ٢٦٦ وما بعدها .

(٣) شرح صحيح مسلم ٢ / ٢١٩ .

كان الآمر متلبساً بالمعصية ، لأنه في الجملة يؤجر على الأمر بالمعروف ، ولا سيما إن كان مُطَاعاً ، وأما إثمه الخاص به فقد يغفره الله له وقد يؤاخذه به ، وأما من قال : لا يأمر بالمعروف إلا من ليست فيه وصمة فإن أراد أنه الأَولَى فجيد ، وإلا فيستلزم سد باب الأمر إذا لم يكن هناك غيره) [1] .

وقال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - :

« خطب عمر بن عبد العزيز ــ رحمه الله يوماً فقال في موعظته : إني لأقول هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه . وكتب إلى بعض نوابه على بعض الأمصار كتاباً يعظه فيه فقال في آخره : وإني لأعظك بهذا، وإني لكثير الإسراف على نفسي غير محكم لكثير من أمري، ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يُحْكِم نفسه إذاً لتواكل الناس الخيرَ، وإذاً لرُفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإذاً لاستحلت المحارم، وقَلَّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض، فإن الشيطان وأعوانه يودُّون أن لا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر، وإذا أمرهم أحد أو نهاهم عابوه بما فيه وبما ليس فيه ، كما قيل :

وأُعْلنت الفواحش في البوادي ... وصار الناسُ أعوان المريبِ
إذا ما عبتُهم عابوا مقالي ... لما في القوم من تلك العيوب
وودوا لو كفـفنا فاستوينا ... فصار الناس كالشئ المشوب
وكنا نستطب إذا مرضنا ... فصار هلا كنا بيد الطبيب [2]

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣ / ٦٦ ط دار الحديث ــ الأولي ١٩٩٨

(٢) وانظر تفسير ابن رجب الحنبلي :جمع وترتيب طارق بن عوض الله بن محمد ٢ / ٤٢٣،٤٢٤ط دار العاصمة ــ الرياض ٢٠٠١ .

وقال الدكتور/ عبد الكريم زيدان في أصول الدعوة :

العدالة : شرط قال به البعض ، فعندهم لابد أن يكون المحتسب عدلاً غير فاسق ، ومن مظاهر عدالته أنه يعمل بما يعلم ، ولا يخالف قوله عمله . .وقال البعض الآخر: العدالة ليست شرطاً، وإنما الشرط القدرة علي إزالة المنكر ، لأنه ما من أحد إلا ويصدر منه العصيان والمعصية تثلم العدالة ، فكيف يُشترط ما يتعذر تحققه في المسلم ؟ .

ولهذا قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى :

« إذا لم يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من لا يكون فيه شئ لم يأمر أحدٌ بشيء » ، والراجح عدم اشتراط العدالة في المحتسب ، ومن حيث الجملة دون التفصيل لأن الاحتساب فرض كسائر الفروض الإسلامية ، لا يتوقف القيام به على أكثر مما لا يتطلبه ويحتاجه هذا الغرض ، وليس مما يتوقف عليه أن يكون المحتسب عدلاً بالاصطلاح المعروف عند الفقهاء ، لأن ما يأمر به المحتسب أو ينهى عنه هو من الأمور الحسنة المشروعة ، و الحق ينبغي أن يُتَّبع ويُقبل من قائله بغض النظر عن فعله وسلوكه ، وما احتج به المشترطون لا حجة لهم فيه لأن الذم على من يأمر غيره بالمعروف وينسى نفسه إنما استحق هذا الذم بسبب ارتكابه ما نهى عنه لا على نهيه عن المنكر وإن كان النهى عن المنكر ممن يأتيه مستقبحاً في النفوس ، كما أن أمره بالمعروف دلَّ على قوة علمه ، وعقاب العالم وذمه إذا ارتكب المنكر أشد من الجاهل إذا ارتكب المنكر، فإن الإنكار في قوله تعالى : ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ إنما كان عليهم بسبب أنهم نسوا أنفسهم لا بسبب أنهم أمروا غيرهم بالمعروف ، ومع ترجيحنا عدم اشتراط العدالة في المحتسب من حيث المبدأ أو الأصل ، إلا أن العدالة لها تأثير في بعض أنواع الحسبة وفي وجوبها أو عدم وجوبها ومن ثم يكون لاشتراط العدالة وجه مقبول وبيان ذلك أن الحسبة إذا

كانت بالوعظ والإرشاد فإن نفعها المرجو يحصل إذ كان المحتسب ورعاً تقياً عدلاً حيث يكون لكلامه ووعظه تأثير في الناس وقبول عندهم فيتركون المنكر ، وحيث كان نفع الحسبة مرجواً بالوعظ ولا ضرر للمحتسب منه كانت الحسبة عليه واجبة فيكون اشتراط العدالة في هذه الحالة ، لوجوب الحسبة اشتراطاً مقبولاً، أما إذا كان المحتسب فاسقاً غير عدل فالغالب أن وعظه لا يُؤثر ولا يُقبل فلا يفيد ، وإذا لم ينفع وعظه لم تجب عليه الحسبة لفقدان شرط وجوبها وهو العدالة) (١).

وقال الشيخ سلمان بن فهد العودة ـ حفظه الله ـ في أخلاق الداعية :

(ومن مجالات القدوة أن يتجنب الداعية التناقض بين القول والعمل كما قال نبي الله شعيب عليه السلام : ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** (٨٨) ﴾ [هود : ٨٨] ، ولذلك كان علماء السوء يدعون الناس إلى الإسلام بأقوالهم، ويحذرون منه بأعمالهم، فاحرص أخي الداعية على أن تكون قدوة في قولك وعملك، وهنا أمر ينبغي التنبه له : وهو أن الكثير من الناس يظن أن الداعية لا يأمر إلا بالمعروف الذي يفعله، ولا ينهى إلا عن المنكر الذي يجتنبه وهذا غلط، بل الصحيح الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة أن الإنسان يجب عليه أن يأمر بالمعروف ولو كان مقصِّراً فيه وأن ينهى عن المنكر ولو كان واقعاً فيه، حتى قال بعض حُذَّاق أهل العلم : حقٌّ على من يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضاً، فالوقوع في المنكر لا يبرر لي الوقوع في خطأ آخر وهو أن لا أنهى عن المنكر، والشرط الوحيد أن يكون أمري بالمعروف ونهيي عن المنكر بصدق وليس على سبيل الخداع والنفاق والتضليل وأن أُظهِر للناس أني داعية، وأنا لستُ كذلك،

(١) أصول الدعوة ص ١٧٢ ، ١٧٣ ط دار عمر بن الخطاب ، الإسكندرية .

فلو كان الوالد مثلاً مُبتَلَى بشرب الدخان ورأى ولده يدخن فهل يسكت عنه بحجة أنه واقع فى المنكر؟ كلا، بل عليه أن ينهاه ويقول: إني سلكت هذا الطريق، ويصعب عليَّ الإقلاع وأنت مازلت فى البداية وهكذا سائر المعاصي ، وقل مثل ذلك فى مسئول يرى من تحته فى معصية هو واقع فيها.

ولو لم يعظ في الناس من هو مذنب فمن يعظ العاصين بعد محمد) (١)

وخلاصة القول :

أن موافقة القول للعمل وإن لم يشترط وجوبها أكثر أهل العلم مراعاة لمصلحة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ لو أوجبوها لربما تعطل هذا العمل الهام الذي عليه قوام هذا الدين، إلا أن تحقيق نتائج القول عندما يوافقه العمل مؤكدة وسريعة، ولا يختلف في هذا اثنان، ولا تحسبن عدم إيجاب أكثر أهل العلم هذا الشرط فى الداعي يُقلل من خطورة المسألة، وإنما كما قلت : هم راعوا مصلحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى لا يتعطل في وقت ما من الأوقات ، الله أعلم . . . .



(١) الشيخ/ سلمان فهد العودة: من أخلاق الداعية ص ٧٣ – ٧٥ ، مطبعة سفير ـ الرياض .

المبحث السادس

حرص الدعاة على موافقة العمل للقول كخطوة إيجابية في تجديد الخطاب الديني (١)

تفجرت مؤخراً ـ وخصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ـ قضية تجديد الخطاب الديني ، وتكلم فيها كثيرون ، ولكلٍّ وجهته .

فيرى البعض أنها قضية مصدرة إلينا ، المراد منها تقليص الثقافة الدينية و تشويهها ، والتخلّي عن بعض الثوابت والأصول لتطويع الإسلام للتمشّي مع الأغراض الأمريكية وقبول فكرها وسياستها وثقافتها .

ويرى البعض الآخر أنها برغم ثبوت مطالبة الغرب بما يسميه تجديد الخطاب الديني من وجهة نظره هو إلا أن الخطاب الديني الحالي فعلاً يحتاج إلى تجديد لكن ليس كما يرى الغرب تهميشه وتمييعه .

وقد نظر هذا الفريق من الباحثين إلى قلة تأثير الخطاب الديني في جمهور المدعوين، وذلك لعدة أسباب :

- منها الجمود على أسلوب معين رتيب في الأداء .
- وعدم التغيير في مادة الخطاب الموجه فكثيراً ما يرتبط بالمناسبات طول العام .
- وإهمال ثقافات العصر الحديث التي يمكن توظيفها لخدمة الدعوة .

(١) لقد منَّ الله عليَّ بدراسة تجديد الخطاب الديني من أكثر من وجهة في كتاب مستقل، طبع بدار الكتب العلمية ببيروت ٢٠٠٣م وسأكتفي هنا بتوظيف القضية مع موضوع البحث بقدر المستطاع . والله المستعان .

■ وعدم تفرغ الدعاة التفرغ الكافي .

■ وغير ذلك من الأسباب التي استنتجها الباحثون والدارسون لهذه القضية .

وقد رمقت القضية من زاوية مطابقة العمل للقول فرأيتُ الهوَّة الواسعة بين أفعالنا وأقوالنا هي من أخطر الأسباب الكامنة وراء فقدان الخطاب الديني تأثيره المنشود في المدعُوِّين .

فوالله لو كان أحدنا يحمل علماً قليلاً ليس مُتبحراً فيه ، ولا معرفة له حتى بثقافات العصر ، ولكنه يطبق ما يقول فيراه الناس فيه عملاً متحققاً ليس مجرد قول وثرثرة لكان لهذا وقعه في النفوس .

وصدق شيخنا الدكتور: محمود محمد عمارة حيث قال : (إن الناس تسمع بأعينها قبل أن تسمع بآذانها تسمع الأسلوب الطلي .. والعرض القوى .. مدركة في نفس الوقت أن هناك أمراً أكثر قوة هو رؤية الخطيب ملتزماً بما يقول . ودون ذلك فلا استماع ولا ثقة) [١] .

وقد قيل أيضاً : (ما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان وما خرج من القلب وصل إلى القلب) .

إنه لا تكاد تخلو جريدة أو صحيفة يومياً من مقال أ وأكثر عن حُمَّى تجديد الخطاب الديني فيكتب القانوني والإعلامي والسياسي والطبيب والعسكري ... والمتخصص وغير المتخصص شجبٌ وندب وتأييد ورفض .

كثرت الدِّلاء المدلَّي بها ، والله يعلم كل دلو من أي عين غرف أو نزع .

فاقبلوا هذا الدلو ـ أحبتي معاشر الدعاة ـ إذا أردنا أن نجدد الموعظة الدينية في النفوس فلنجددها أولاً في سلوكنا وأفعالنا فلا تكون مجرد أقوال ميتة لا روح

---

(١) الخطابة في موكب الدعوة ، ص ١٣٨ .

فيها ، ولا نصيب لها من الحياة .

ولست أعيش في خيال ولا بمنأى عن الواقع الذي يعيشه الدعاة كبُنَاة ، فهو واقع صعب جداً لأن عوامل الهدم وراءهم كثيرة تتعقب جهودهم في كل مكان .

ولكنهم برغم ذلك قادرون على تغيير وجه الحياة القبيح ، متى عقدوا العزم على ذلك واستعانوا بخالقهم جل وعلا .



المبحث السابع
بعض الآثار السلبية لمخالفة القول للعمل
مع بيان الأثر الإيجابي لموافقة القول للعمل في الدعوة والتربية

لم يكن ما مضى من الشواهد على ذم مخالفة القول للعمل مجرد مبالغة في التحذير والتخويف ، فالأمر خطير فعلاً ، ولعلك تدرك خطورته أكثر إذا وقفت على بعض الآثار السلبية لهذا الفعل الذميم .

ومن هذه الآثار :

أولاً : فَتْنُ الناس وإغراؤهم بالمعاصي :

إن من أخطر آثار مخالفة القول للعمل أن الناس سيفتنون بمن يأمرهم وينهاهم ثم يخالف فعله قوله .

قال الشيخ / عبد العزيز السلمان :

« ... الواعظ الفاعل للمحرمات ، المحذر عنها يكون سبباً للمعصية ؛ لأن الناس يقولون :

لولا أن هذا الواعظ مُطَّلع على أنه لا أصل لهذه التخويفات ، لما أَقْدَمَ على المناهي والمنكرات ، فيكون داعياً إلى التهاون بالدين والجرأة على المعاصي ، وهذا منافٍ للغرض من الوعظ ، فلا يليق بالعقلاء » [١] .

■ وقال : « إن من تناول شيئاً فأكله وقال للناس لا تتناولوه ، فإنه سمٌّ

---

(١) موارد الظمآن : ٢ / ١٤ .

مهلك ، سَخِرَ الناسُ منه ، واستهزؤوا به ، واتهموه في دينه وعلمه وورعه ، وكأنه بزجره ونهيه حرّضهم عليه ، فيقولون : لولا أنه لذيذ ما كان يستأثر به ، كذلك الداعي إذا خالف فعله قوله . . . » (١) .

■ ومخالفة القول للعمل ليست فتنة للناس على المستوى الداخلي فقط في بلاد المسلمين ، وإنما هي فتنة حتى لغير المسلمين ، الذين ينظرون إلى واقع المسلمين وما يرفعون من شعارات ولكن أفعالهم تخالفها ، فسيقولون لو كان في الإسلام خيراً لرأيناه في أتباعه .

■ وبهذا لا يفكر في الإسلام ، وقد حدث أن هدى الله رجلاً للإسلام في أوروبا ، فلما قدم إلى بلاد المسلمين قال : الحمد لله أنني أسلمت قبل أن أرى المسلمين !! .

ثانياً : تشتيت الصف الإسلامي وتمزيقه :

■ ومن سلبيات مخالفة القول للعمل أنه يترتب عليه تمزيق الصف الإسلامي وتشتيته ، وإلى هذا أشار الله - عز وجل - في مطلع سورة الصف ، فعند بيان المناسبة بين قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾ [الصف : ٢ - ٣] ، وبين قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤)** ﴾ [الصف : ٤] ، **تظهر فائدة عظيمة :**

فكأن الله - عز وجل - يشير إلى خطورة مخالفة القول للعمل على وحدة الصف الإسلامي ، فلا يتفتت ولا يتشتت إلا إذا كانت الأمة تخالف أقوالُها أفعالَها .

---

(١) السابق : ٢ / ١٠ .

■ ولقد بات هذا الأمر واضحاً جلياً على كافة المستويات والأصعدة في واقع الأمة الإسلامية ـ الآن ـ صف مشتت ممزق ؛ لأن الشعارات الجوفاء أصبحت شعارها في أكثر أحوالها .

■ عجيب أن تعجز هذه الأمة عن توحيد صفها ، وجمع كلمتها ، حتى على المستوى الديني .

■ **فمثلاً** : نجتمع في بعض المؤتمرات ، وتطرح الآراء حول توحيد رؤية هلال رمضان كبداية لطريق وحدة المسلمين ، ويتفقون على توحيد الرؤية ، وسرعان ما يعود كل واحد إلى قطره ، وتدب الفرقة من جديد حتى في أيسر الأشياء التي استطاعوا أن يتفقوا عليها قولاً لا فعلاً .

■ كيف يجتمع الصف والله غاضب أشد الغضب من مخالفة القول للفعل ، من الشعارات الجوفاء . . فكم من دولة ـ الآن ـ ترفع شعارها بأنها دولة إسلامية (هذا قول) وفعلها يكذبه .

■ فهي تحكّم غير شرع الله . . وتوالي أعداء الله . . وتقر المنكر والفاحشة في رعاياها .

■ ترفع شعار الشورى (أو الديمقراطية كما يقولون) وحرية الرأي ، وفعلها الاستبدادي يبدد شعارها ويفضحه .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في النونية :

أتحب أعداء الحبيب وتدّعي — حباً ما ذاك في الإمكان

وكذا تعادي جاهداً أحبابَهُ — أين المحبة يا أخا الشيطانِ

ليس العبادة غير توحيد المحبَّةِ — معْ خضوع القلب والأركانِ (١)

---

(١) القصيدة النونية : لابن القيم ص ١٩١ ط المكتبة الإسلامية ـ القاهرة ٢٠٠١م .

■ أُمَّة لا يجتمع صف علمائها وصفوتها ، لا يجتمع صف ساستها ، ولا صف رعيتها .

ثالثاً : تضييع الجهود في القول فقط :

ومن آثار مخالفة القول للعمل تضييع الجهود في القول فقط ، فإن الأمة إذا فَشَا فيها مخالفة القول للعمل ، فإنها لا تزال تدور في هذا الفلك دون أن يكون هناك إصلاح أو تغيير ، وبالتالي فأكثر ما يُبذَل من الجهود ضائع ولا طائل من ورائه .

رابعاً : سقوط هيبة الأمة :

فإذا شاع بين الناس مخالفة القول للعمل كان من تخالف أقواله أفعاله محلّ احتقار وازدراء ، وتسقط هيبته ، فإذا شكل هذا الأمر ظاهرة جماعية ترتب عليه سقوط هيبة هذه الأُمَّة التي تقول ولا تفعل ، وتجعجع ولا يُرى لها طحنا .

الشجب والندب والافتخار بالماضي والعيش في أحلامه والغفلة عن الواقع الأليم الذي أصبحنا فيه في ذيل القافلة ... هذا هو حال أكثر المتصدرين في الأمة الإسلامية .

خامساً : فقدان الثقة بكل داع إلى الخير:

ومن آثار مخالفة القول للعمل : أنه قد يترتب عليه فقدان الثقة بكل داع إلى الخير ، وذلك عندما يحاول بعض الناس اتخاذ قاعدة مضطردة عليها يعرضون كل مذكر بالله لمجرد أنهم جرّبوا واحداً أو أكثر .

■ **وما أكثر ما نسمع من يقول** : (لا أحب الشيوخ - المطاوعة) لأنه حدث لي موقف مع واحد منهم ممن يخالف قوله فعله ، فهزّته الصدمة فأفقدته الثقة بالسواد الأعظم .

■ ونُذَكِّر الأُمَّة بأنه لا يجوز تعميم الحكم بهذه العشوائية ، فإن الله - عز وجل - لما تحدث عن أهل الكتاب ، برغم ما هم عليه من الكفر إلا أنه قال فيهم : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ [آل عمران : ١١٣] .

سادساً: إفساد الجيل المعاصر:

وإن من أخطر آثار مخالفة القول للعمل إفساد الجيل المعاصر الذي يتربى على معلمين تخالف أفعالهم أقوالهم ،وفي كتاب طرق تدريس الدراسات القرآنية والإسلامية للدكتور فواد أبوالهيجا ، أفرد مبحثين الأول بعنوان (السلوكيات غير المرغوب فيها التي تصدر عن معلمي التربية الإسلامية) ، والآخر بعنوان (السلوكيات الغير مرغوب فيها ، التي تصدر عن بعض معلمات التربية الإسلامية) .

ومن بعض سلوكيات المعلمين:

أن يحذر المعلم تلاميذه من التدخين ثم يدخن ويعتذر بأنه بلاء .... أو يدعو طلابه للتبرع للعمل الخيري ولا يبادر هو للتبرع ... وقد ينهى المعلم تلاميذه عن الضحك بصوت عالي لأن هذا يسقط من هيبة الإنسان ثم بعد ذلك يراه الطلاب يضحك حتى يستلقي ويمزح مزاحاً ثقيلاً ... وقد يعطيهم درساً عن المحافظة على الصلاة ويأتي وقت صلاة الظهر فيتخلف عن الجماعة.. وقد ينهاهم عن السباب والشتم ثم يسبهم ويزعم أنه معلم (أي لا حرج عليه) ، ومن المعلمات اللاتي يدرسن التربية الإسلامية من تعطي الدرس عن حرمة الزينة والتبرج وهي مُظهِرة للزينة مُتَبَرِّجة ، وبعض معلمي ومعلمات التربية الإسلامية ينهون تلاميذهم عن التأخير ويأمورونهم بضرورة الإلتزام بالوقت... ثم لا يبالون أن يتأخروا أو يغيبوا بدون استئذان (١) .

---

(١) انظر ص ٢٠ – ٢٤ ، ط. دار المناهج الأردن ط الثانية ٢٠٠٢ .

وهذا من أفحش ما يكون في مخالفة القول للعمل وتدريسهم لا فائدة منه ، فلا بد أن يعلم كل معلم ومعلمة ـ خصوصاً من يقومون بتعليم الدراسات الدينية ـ أن أفعالهم محسوبة عليهم وبدقة أمام تلاميذهم ، فليَتَّقُوا الله .

بيان الأثر الإيجابي لموافقة القول للعمل في الدعوة والتربية

كما أن لمخالفة القول للعمل أثر سلبي خطير ، فإن عكسه وهو الموافقة له أثر إيجابي عظيم في الدعوة والتربية، وبالنظر إلى بعض مواقف نجتزؤها من حياة النبي ﷺ نلمح هذا الأثر الإيجابي لموافقة القول للعمل في الدعوة والتربية .

[١] جاء في قصة صلح الحديبية عن المسور بن مخرمة - رضي الله عنه - :

قال : « **فلما فرغ من قضية الكتاب : قال رسول الله - ﷺ - لأصحابه : «قوموا فانحروا ثم احلقوا ، فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ، اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم بكلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم ، حتى فعل ذلك ، نحر بُدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، فجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً** » (١) ، أي من سرعتهم وتزاحمهم وهم ينفذون أمر النبي ﷺ .

قال الحافظ بن حجر - رحمه الله - معقباً على هذا الحديث :

« .. فيه فضل المشورة ، وأن القول إذا انضم إليه الفعل كان أبلغ من القول المجرد » (٢) . (٣) .

---

(١)رواه البخاري في صحيحه برقم ٢٣٧٢ ك الشروط ،باب الشروط في الجهاد .

(٢) فتح الباري : ٥ / ٦٩٩ .

(٣)جدير بالذكر أن نبين أن الصحابة لم يتأخروا عصياناً وتمرداً على أمر النبي ﷺ ، بل كما قال ابن حجر : يحتمل أنهم تأخروا لاحتمال نزول الوحي بشيء ، وقيل يحتمل أنهم تأخروا لغفلتهم واستغراقهم في التفكير في الموقف ، وإلا فأصحاب النبي - ﷺ - معروفون بطاعتهم وسرعة استجابتهم له ﷺ . انظر فتح الباري : ٥ / ٦٩٨ ، ٦٩٩ .

وقال الشيخ الدكتور / محمد السيد الوكيل ، وهو يتأمل هذا الموقف في السيرة النبوية :

« فيه أهمية القدوة العملية ، فقد دعا رسول الله ﷺ إلى أمر وكرره ثلاث مرات ، وفيهم كبار الصحابة وشيوخهم ، ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته ، فلما قَدِم على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة تحقق المراد ، فالقدوة في مثل هذه المواقف أجدى وأنفع »(١) .

[٢] وفي حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - :

قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فمر بنهر فيه من ماء السماء والقوم صيام في يوم صائف مُشاة ، ونبي الله ﷺ على بغلة له ، فقال : « **اشربوا أيها الناس ، قال : فأبوا ، قال : إني لستُ مثلكم إني أيسركم ، إني راكب فأبوا ، فثنّى رسول الله ﷺ فخذه ، فشرب وشرب الناس ، وما كان يريد أن يشرب** »(٢) .

فانظروا كيف امتنعوا عن الشرب - ولعل هذا ظناً منهم بأن في الأمر رخصة - ولكن لما شرب النبي ﷺ شربوا معه ، إنها التربية بالقدوة المتمثلة في موافقة العمل للقول .

[٣] وفي حديث حفر الخندق ، عن أبي إسحاق رضي الله عنه :

قال سَمِعتُ البراء رضي الله عنه - يعني ابن عازب - يُحدِّث قال : (لما كان يوم الأحزاب وخَنْدَقَ رسولُ الله - ﷺ - رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني

---

(١) د/ محمد السيد الوكيل: تأملات في سيرة الرسول ﷺ، ص ٢١١ط دار المجتمع - الأولى، ١٩٨٧م ، وانظر د/ محمد علي الصلابي : السيرة النبوية : ٢ / ٤٦٥ ط دار الإيمان - الإسكندرية .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (ج/٣ ٣٩٩ برقم ١٠٧٧٦) .

الغبار جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ، وهو ينقل التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سكينةً علينا وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبيْنَا [١]

[٤] وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال :

« شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع في يوم الخندق ، فرفعنا عن بطوننا عن حجر ، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين » [٢] .

الله أكبر ما أروع القدوة في التربية يأمرهم بالحفر فيحفر معم كواحد منهم ، شكوا الجوع فوجدوه أكثر جوعاً منهم ، بل كانوا إذا تعرضوا لشيء قاسٍ في الحفر انتدبوه ﷺ .

قال اللواء الركن / محمود شيث خطاب :

« واشتغل هو بنفسه في الحفر كبقية أصحابه تماماً ، بل استأثر دونهم بالمحلات الصلبة التي لم يستطع أحد التغلب عليها كفلق الصخور القاسية ، ثم قَسَّم واجبات احتلال المواضع بين أصحابه بحيث لا يغفل أحد عن شبر من الخندق ليلاً ونهاراً ، على الرغم من برودة الطقس ، وقد كان هو بنفسه لا يترك مقره إلا ليقوم بتفتيش الحراس ليشجعهم ويرفع معنوياتهم » [٣] .

---

(١) صحيح البخاري برقم ٤١٠٦ ك المغازي ، باب غزوة الخندق .
(٢) مشكاة المصابيح : ٢ / ٤٤٨ .
(٣) اللواء : محمود شيث خطاب : الرسول القائد ص ١٥٦ط مكتبة الحياة ـ بيروت .

[٥] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، فكان أبو لبابة وعلى بن أبي طالب رفيقي رسول الله ﷺ قال : فكانت إذا جاءت عقبة رسول الله ﷺ قالاً : « **نحن نمشي عنك ، قال : ما أنتما بأقوى مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما** » (١) .

[٦] وفي بناء المسجد :

من الحقائق الثابتة أن النبي ﷺ شارك أصحابه العمل والبناء ، فكان يحمل الحجارة ، وينقل اللبن على صدره وكتفيه ، ويحفر الأرض بيديه كأي واحد منهم ، فكان مثال الحاكم العادل الذي لا يفرق بين رئيس ومرؤوس أو بين قائد ومقود أو سيد ومسود أو بين غني وفقير، فالكل سواسية أمام الله ، . . . فقد كانت مشاركة النبي ﷺ في عملية البناء ككل العمال الذين شاركوا فيه ، وليس بقطع الشريط الحريري فقط ، وليس بالضربة الأولى بالفأس فقط ، بل غاص بعملية البناء كاملة ، فقد دُهش المسلمون من النبي ﷺ وقد علَتْه غبرة ، فتقدم أُسيد بن حضير رضي الله عنه ليحمل عن رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : أعطنيه . فقال : اذهب فاحتمل غيره ، فإنك لست بأفقر إلى الله مني ، فقد سمع المسلمون ما يقول النبي ﷺ لصاحبه فازدادوا نشاطاً واندفاعاً في العمل) .

إنه مشهد فريد ولا مثيل له في دنيا الناس ، وإذا كان الزعماء الحكام قد يقدمون على المشاركة أحياناً بالعمل ؛ لتكون شاشات التلفزيون جاهزة لنقل أعمالهم وتُملأ الدنيا في الصحف ووسائل الإعلام كلها بالحديث عن أخلاقهم وتواضعهم ، فالنبي ﷺ ينازع الحجر أحد أفراد المسلمين ، ويبين له أنه أفقر إلى الله تعالى وأحرص على ثوابه منه .

---

(١) مشكاة المصابيح : ٢ / ١١٤٦ برقم (٣٩١٥) ، وعزاه إلى شرح السُّنَّة .

وقد تفاعل الصحابة الكرام تفاعلاً عظيماً في البناء وأنشدوا هذا البيت :

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل

إن هذه التربية العملية لا تتم من خلال الموعظة ، ولا من خلال الكلام المنَمَّق ، إنما تتم من خلال العمل الحي الدؤوب ، والقدوة المصطفاة من رب العالمين ... وكأنما غدا هذا الجمع من الصحابة الكرام صوتاً واحداً أو قلباً واحداً فمضى يهتف :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

ويهتف بلحن واحد :

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلّلُ

وكان الهتاف الثالث :

هذي الحمال لا حمالُ خيبر هذا أبر لربنا وأطهر

فحمل التمر والزبيب من خيبر إلى المدينة كانت لها مكانتها في المجتمع اليثربي ، أصبحت لا تذكر أمام حمل الطوب لبناء المسجد النبوي العظيم ، فقد أيقنوا بقوله تعالى : ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾ [النحل : ٩٦]

وأما الهتاف الرابع :

لا يستوي من يعمرُ المساجدا ومن يُرى عن الغبار حائداً [١]

وبالجملة فقد كانت كل حياة النبي ﷺ مواقف الأعمال فيها تزكّي الأقوال وتوافقها ، ما كان يأمرهم بالشيء إلا ويفعله ، ولا ينهاهم عنه إلا وهو

(١) انظر السيرة النبوية للصلابي : ١ / ٥٧٨ ـ ٥٨٠، نقلاً عن صور من حياة الرسول : لأمين دويدار ص٢٦١، ط دار المعارف ـ القاهرة . السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٠٦ ، ١٠ ، ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠١م ، ط مؤسسة المعارف ـ بيروت ١٩٩٨ .

أول منته عنه ﷺ .

لذلك تربى حوله جيل على السمع والطاعة لأبعد حدٍّ يُتصور ، تأمّل هذا الموقف لتتحقق من واقعية تأثير النبي - ﷺ - وهو يربّي أصحابه بالقدوة الحسنة التي من أهم مظاهرها موافقة القول للعمل :

« بعث النبي ﷺ بعثاً ،وأمّر عليهم رجلاً منهم، وقال: اسمعوا له وأطيعوا ، فلما انطلقوا استوقفهم أميرهم وأراد أن يختبرهم فقال: اجمعوا حطباً، فجمعوا، فقال : أضرموا فيه ناراً ، فأضرموا : ثم قال لهم : ألقوا بأنفسكم في النار ، فترددوا حتى قال أحدهم : نرجع إلى رسول الله ﷺ فإن أمرنا ألقينا بأنفسنا فيها .... »[١] .

أرأيت إلى هذا الحد تأثروا به ﷺ وحرصوا على طاعته حتى لو أمرهم بأن يلقوا أنفسهم في النار لفعلوا ، وما كان ليأمرهم .

وهذا يعني أن الدعاة إذا حرصوا على الدعوة بالتربية والقدوة الحسنة من خلال التزامهم أولاً وموافقة أفعالهم لأقوالهم لتربّى على يديهم جيل يصنع المعجزات بإذن الله ويحقق الآمال ويُعزّ الله تعالى به الملة .

وأختم هذا المبحث بكلام نفيس لفضيلة الشيخ / محمد قطب في كتابه : (كيف ندعو الناس) ، قال حفظه الله :

« ... ويعتقد الواعظ أنه بمقدار ما يكون هو متحمساً لموعظته ، مؤمناً بها ، منمقاً لألفاظها ، بارعاً في صياغتها ، يكون تأثيره في نفوس المستمعين ، وهو وهْم يكذبه الواقع .

---

(١) الحديث في البخاري برقم (٧١٤٥) ك الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية .

كم طنّاً من المواعظ يُلقى في العالم الإسلامي كله من المحيط إلى المحيط يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكم غيرت من واقع المسلمين في العالم الإسلامي كله من المحيط إلى المحيط !! إذا قلت : لا شيء ، فهل تعدو الحقيقة ؟!

إن استخدام الموعظة في الدعوة أمر رباني : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ النحل ١٢٥] .

ولكن الله لم يقل إن الموعظة وحدها هي الوسيلة للدعوة ، ولم يقل إنها حين تُستخدم وحدها ، تُؤتي ثمارها ، إنما المنهج الرباني : أنه يرسل بالموعظة رسولاً يكون هو بذاته القدوة للناس لكي يستوعبوا الموعظة أولاً ، ثم يطبقوا مقتضاها بعد ذلك : (**كان خُلقه القرآن**) هكذا وصفت عائشة - ﷺ - خُلُق رسول الله ﷺ .

فلم يكن رسول الله ﷺ مجرد خطيب يقف على المنبر ليعظ الناس ، إنما كان قبل ذلك مربياً بالقدوة في شخصه الكريم ، وكانت الموعظة وسيلة من وسائله لتوصيل الدعوة للناس . . . .

■ بل إنه ﷺ هو الذي قال الصحابة ﷺ : إنه كان يتخولهم بالموعظة - أي بين الحين والحين - مخافة السآمة ، السآمة من أي شيء ؟ ، من موعظته ﷺ وفي نفوس من ؟ ، في نفوس الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين كانوا يلتقطون كل كلمة يقولها - ﷺ - بالإقبال والرغبة والحب ليقينهم أنها طريقهم إلى الجنة ، فيكف بنا نحن البشر العاديين ، حين تكون كل بضاعتنا هي الوعظ والإرشاد .

وهل يصلح الوعظ والإرشاد وحده على فرض تقبل الناس له وعدم سآمتهم منه - وهو فرض غير صحيح - هل يصلح وحده لمعالجة شتى تلك الأمراض . . . التي توغلت في كيان الأمة . . . .

يقول الوعاظ : وماذا نملك غير الوعظ ؟ نحن نقوم بواجبنا ، وإنك لا تهدي من أحببت ، والهداية من الله !! .

الهداية من الله نعم ، ولكن الله وضع منهجاً للدعوة قوامه القدوة والتربية ، ومن وسائله الوعظ مع القدوة والتربية ، وعندئذ تعطى الموعظة ثمارها بإذن الله)[١] .

---

(١) الشيخ / محمد قطب : كيف ندعو الناس ص ١٦٠ ـ ١٦٢ ، ط دار الشروق ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠١م .

المبحث الثامن
عدة فوائد فاستفد

ليست فوائدُ البنوك أعني ، ولا أي فائدة دنيوية ، وإنما ما يُفيد المرء منا في آخرته ، ما ينفعه في دينه ودعوته وإليك أخي الحبيب ـ وإلى نفسي ـ أسوق بعض الفوائد من كلام أهل العلم في مسألة ذم مخالفة القول للعمل .

والذي لفتني إلى إفراد هذا المبحث بهذا العنوان في تلك الرسالة :

ما وقفت عليه وأنا أقرأ في كتاب الفوائد للعلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فائدة ما أعظمها :

قال : (**لو كان العلم ينفع بغير عمل ما ذم الله أحبار أهل الكتاب ، ولو كان العمل ينفع بدون إخلاص ما ذم الله المنافقين**) [١] .

وهذا كلام بالإشارات ما أحسبه يوجهه إلا إلى أهل العلم ، على أحبار أهل الكتاب ، يحفظون أسفار التوارة وألواحها ولكن لا يعملون ، بل ربما أمروا الناس ولم يأتمروا ونهوهم ولم ينتهوا ، فاستوجب صنيعهم هذا أشد الذَّم والتوبيخ من الله تعالى ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** (٤٤) ﴾ [البقرة : ٤٤] .

﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ . [الجمعة : ٥] .

---

(١) ابن القيم : الفوائد (ص٣٥) ط دار الدعوة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

والمنافقون لما كانوا يُظهرون خلاف ما يُبطنون ، استوجب ذلك فضحهم وكشف خُبث نواياهم فَأُنزِلَت في القرآن سورة باسمهم (المنافقون) ، تدل على فساد عملهم وحبوطه ومقدار عداوتهم للدين ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** ﴾ .

[المنافقون : ٤] .

■ أخي الحبيب ، ينبغي أن نفيق ونتنبه قبل فوات الأوان ، ذلك أننا ما وُجدنا في هذه الحياة لنقول فقط ؛ وإنما لنعمل .

■ قال الله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾

[الملك : ٢] .

ومن هذه الآية أسوق لك فائدة ثانية ، عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ، أنه قال في تفسير هذه الآية : ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ أخلصه وأصوبه ، فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل ، حتي يكون خالصاً صواباً : والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السُّنَّة (١) .

وأحوج الناس إلى تحري أخلص العمل وأصوبه هم الدعاة إلى الله تعالي ، ذلك لأنهم قدوة ومثل يُحْتَذَى ، ولأن عليهم من المسؤولية أمام الله عز وجل مالا ينجيهم منها إلا الأعمال الخالصة الصواب ــ مع فضل الله ورحمته .

وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ هذه الفائدة في رسالته القيمة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ثم قال معلقاً عليها (فالعمل الصالح لابد أن يُراد به وجه الله تعالى ، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أُريد به

(١) ابن تيمية الحراني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٥٢ ، ط دار العلوم الإسلامية القاهرة ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩ م .

وجهُهُ وحده كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عَمِلَ عملاً أشرك فيه معيَ غيري ، فأنا منه بريء ، وهو كله للذي أشرك** » (١) .

ولذلك وجدنا سلفنا الصالح رضوان الله عليهم برغم ما بذلوا من الأعمال أنهم كانوا على وَجَلٍ ألا تكون أعمالهم خالصة ، فكانوا دائما يتهمون أنفسهم بالتقصير : ها هو الشعبي رحمه الله تعالى يقول :

(إنا لسنا بالفقهاء ، ولكنا سمعنا الحديث فرويناه ، ولكن الفقيه من إذا عَلِم عَمِلَ) (٢) .

وقيل لابن شبرمة : (حدِّث تؤجر) فأنشأ يقول :

يَمنُّوني الأجر الجزيل وليتني نجوتُ كفافاً لا عليّ ولا ليا (٣)

وقال شعبة بن الحجاج :

(ما أنا مقيم على شئ أخاف أن يُدخلني النار غيره - يعني الحديث) (٤) .

وعن محمد بن أيوب قال : قال أبو الوليد يوماً :

(ما يريدون بهذه الأحاديث إلا التكاثر ، والقليل يجزئ لمن اتقى الله أو نحوه ، ثم قال : يجمع أحدهم المسند وكذا و كذا ليحول وجوه الناس إليه ونحواً من هذا الكلام) (٥) .

---

(١) **انظر** : رسالة ابن تيمية المشار إليها في الصفحة السابقة ص ٥٣ ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد باب تحريم .....

(٢) اقتضاء العلم العمل ص ٧٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٨١ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٦ .

(٥) اقتضاء العلم العمل ص ٨٩ .

ومجال الدعوة الآن موبوء بكثير منَّا ، تخالف أقوالنا أفعالنا تحدث عنهم الشيخ الغزالي ــ رحمه الله تعالى في كتابه القيم (ليس من الإسلام) وهو ينعي فيه على الأمة الإسلامية أموراً وأحداثاً أحدثتها وهي ليست من دين الله في شئ ، قال : تحت عنوان (الوعظ الديني) الخطباء الفاقهون قلة في مساجدنا أكثرهم لا يدري ماذا ولا كيف يفعل ، والأزهر يحمل الوزر الأكبر في الأزمة الطاحنة التي نلمسها بين الدعاة والموجهين ، ولقد أُنشِئَ في كلية أصول الدين قسم خاص بالدعوة والإرشاد لم يلبث قليلاً حتى مات ، وأسست إدارة للوعاظ لم تزل منذ أنشئت إلى اليوم تحيا على هامش النشاط الأزهري وينظر إلى رجالها على أنهم أصحاب عمل تافه .

وبديهي أن تعتمد الدعاية الإسلامية على الارتجال والحماسة المنقطعة وعلى أوقات الفراغ عند لفيف من المتطوعين، وعلى الروح الميتة عند المحترفين المهملين ، ومستقبل هذه الدعاية مقلق ، كذلك مستقبل الإسلام معها ما بقي قادة الأزهر من الصنف الذي عرفناه طوال السنين السابقة ، وهم صنف يصلح لأي شئ إلا خدمة الإسلام والتصدي لقضاياه الكبرى ، والغريب أن في علماء الأزهر رجالاً كثيرين لهم مواهب رفيعة وطاقات واسعة ولكنهم رسبوا في قاعه) (١) .

وفائدة ثالثة أسوقها لي ولك :

(إن القول لا يكون حسناً إلا إذا أعقبه عمل صالح) .

وقد استفدت هذه الفائدة من قوله تعال : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)** ﴾ [فصلت : ٣٣] .

---

(١) الشيخ / محمد الغزالي : ليس من الإسلام ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ ط دار الشروق الطبعة السادسة .

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

(يقول عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ أي دعا عباد الله إليه ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومُتَعَدٍ،وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بالخير ويترك الشر،ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك الله وتعالى ، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد . .) (١) .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ في هذه الآية :

(هذا ـ أي من دعا إلى الله وعمل صالحاً ـ حبيب الله هذا ، ولي الله هذا ، صفوة الله هذا ، خيرة الله هذا، أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته ، وقال إنني من المسلمين هذا خليفة الله) (٢) .

وقال صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ في هذه الآية :

(إن النهوض بواجب الدعوة إلى الله تعالى في مواجهه إلتواءات النفس البشرية وجهلها ، واعتزازها بما ألفت ، واستكبارها أن يقال : إنها كانت على ضلالة وحرصها على شهواتها وعلى مصالحها ، وعلي مركزها الذي قد تهدده الدعوة إلى إله واحد ، كل البشر أمامه سواء ، إن النهوض بواجب الدعوة في مواجهة هذه الظروف أمر شاق ولكنه شأن عظيم ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تُقال في الأرض وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء ، ولكن مع العمل الصالح الذي يُصدِّق الكلمة ، ومع الاستسلام لله الذي تتوارَى

---

(١) تفسير ابن كثير ٧ / ١١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧ / ١١٧ .

معه الذات ، فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شان إلا التبليغ) [١] .

ورابعة الفوائد أخي الحبيب :

إن مخالفة القول للعمل أمر خطير كبير فقد بوب العلماء هذه المسألة في الكبائر . . . .

فمثلا قال الإمام ابن حجر الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر :

(الكبيرة الخامسة والأربعون : عدم العمل بالعلم) وساق الأحاديث التي فيها الوعيد الشديد ثم قال :

تنبيه :

(عُدَّ هذا الأمر كبيرة هو ظاهر ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد . . . لأن المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل كما دلت عليه أيضاً الأحاديث ، ونظير ذلك المعصية بحرم مكة ونحوه من أن شرفه اقتضى فُحش المعصية فيه وإن كانت صغيرة ، فكذلك العالم إذا أفحش في فعل الصغائر فلا بد أن يكون ذلك منه كبيرة بواسطة ما أوتيه من تلك المعارف المقتضية لانزجاره عن المكروهات فضلا عن المحرمات) [٢] .

وبوب العلامة الذهبي في كتابه الكبائر :

(الكبيرة الثامنة والثلاثون التعلم للدنيا وكتمان العلم) [٣] .

وبوب الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزهد باباً بعنوان :

(باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله) ،وساق

---

(١) في ظلال القران ٥ / ٣١٢١ .

(٢) ابن حجر الهيتمي : الزواجر عن اقتراف الكبائر ص ١٢٠ ط دار الشعب ــ القاهرة ١٩٨٠ بتصرف يسير .

(٣) الذهبي : الكبائر ص ١١٣ ط دار إحياء الكتب العربية القاهرة .

تحته حديث أسامة رضي الله عنه " **يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلْقَى في النار ..** " .

وبوب الإمام النووي في رياض الصالحين باباً بعنوان :

(باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله)[١] .

وقل أن تجد أحداً من أهل العلم إلا بوب لهذه المسألة تبويباً يوحي بخطورتها ونكارتها وتغليظ عقوبة فاعلها .

وخامسة الفوائد يا صاحب أحسن قول ، وأسأل الله تعالى أن يجعلني وإياك ممن أحسن عملاً :

أنقلها لك عن ابن القيم - رحمه الله تعالى - قال :

(للعبد ستر بينه وبين الله ، وستر بينه وبين الناس ، فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله ، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس) [٢] .

والذي يخالف فعله قوله ويخالف الناس إلى ما ينهاهم عنه ولا يأتي المعروف الذي يأمرهم به : بصنيعه هذا يهتك الستر الذي بينه وبين ربه عز وجل ، فإذا أسرف في هتك هذا الستر هتك الله الستر الذي بين هذا العبد وبين العباد حتى يفضحه ، والعياذ بالله .

وسادسة الفوائد :

قال ابن القيم - رحمة الله - أيضاً في الفوائد تحت عنوان (وقار الله) :

(إن من أعظم الظلم وأفحش الجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس ، وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره ، فإنك توقِّر المخلوق وتُجلّه أن يراك في حال لا توقر الله ، أن يراك عليها قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّه

---

(١) النووي : رياض الصالحين ص ٧٩ ط دار التراث العربي _ القاهرة ١٩٨٣ .
(٢) ابن القيم : الفوائد ص ٣٥ ط دار الدعوة _ القاهرة _ الاولي ١٤٢١ هـ .

وَقَارًا ⑬ ﴾ [نوح : ١٣] [١].

وما أكثر هذا فينا معاشر العلماء والدعاة ، فأكثرنا يحب من الناس توقيرهم له ، وليته التوقير فقط ، فإذ ذهب ليشتري أو يركب . . . وتقدمه أحد من الناس فقد يأخذ في نفسه أن الناس تقدموه ولم يوقروه . . . ويرجع بذاكرته إلى أحاديث النبي ﷺ التي تحث على توقير العلماء ، وإكرامهم ، وليت كلاً منا يرجع إلى نفسه فيقول لها : كيف أرجو من الناس توقيرهم وقلبي خال من توقير الله ـ عز وجل ـ لأنني لو وقرت الله تعالي حق توقيره لما خالف فعلى قولي ، ولما خالفت الناس إلى ما أنهاهم عنه .

نعم : إن للعلماء على الناس حق التوقير ، وليس هذا لأنه تجري في عروقهم دماء مقدسة .كما يقول بعض أرباب الملل المنحرفة وإنما لأنهم يوقرون الله ـ عز وجل ـ ويدعون الناس إلى توقيره، فإذا خالفت أفعالهم أقوالهم كان هذا دليل على نقص توقيرهم لله عز وجل،واستحقوا أن لا يوقرهم الناس لأنهم اجترءوا على الله فلم يوقروه ، واستحقوا أن يُصْرَخ فيهم للتذكير بقول الله عز وجل : ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ⑭ ﴾ [نوح : ١٣ ـ ١٤] .

والعجيب أن العلماء فيما مضى برغم خوفهم من الله تعالى وتوقيرهم له وصدقهم إلا أنهم كانوا لا يرون لهم على الناس هذا الحق ، بل كانوا يخشون من مبالغة الناس في توقيرهم أن يدب منه دبيب الفتنة إلى قلوبهم [٢] ، أما نحن الآن : فما أقل توقيرنا لله ـ عز وجل ـ وما أكثر تشبثنا بهذا الحق على الناس .

---

(١) الفوائد ص ١٩٤ .

(٢) الأخبار فى هذا كثيرة : فمثلاً الحسن البصرى رحمة الله تعالى كان إذا فرغ من مجلسه يقوم جمع كبير من التلاميذ ليشيعوه، فإذا ركب حماره التفت إليهم وقال : ألكم مسألة ؟ ، فإن قالوا : لا ، قال : ارجعوا، فإن هذا لا يبقى من قلب العالم شيئاً . . . .

و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم :

وأما خاتمة هذه الفوائد فهي من كلام سيد المرسلين ﷺ فقد كان يقول :

« اللهم آت نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكَّاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يُستَجَاب لها » (١) .

فانظر كيف كان صاحب أزكى نفس خلقت يسأل ربه تزكية نفسه، ويستعيذ به من علم لا ينفع، لأن العلم الذي لا ينتفع به صاحبه وَبَالٌ وحُجةٌ علىٰ صاحبه . . فإذا كان الأمر كذلك فما أحوجنا نحن أن نَتَضَرَّع إلى ربنا جل وعلا كل يوم بهذا الدعاء ، عساه أن يتقبل منا ، وأن يصلح أحوالنا .



(١) صحيح مسلم بشرح النووي : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الأدعية ١٧ / ٢٠٨ .

الخاتمة
نسأل الله حُسنها في الأمر كله

وبعد فيا أخي كانت هذه السطور رسالة أردت بها نفسي وأردتك لأني أحبك وأرجو لك الخير ، أذكرك مرة أخرى كما قلنا للناس وتلونا في مسامعهم منكرين عليهم إعراضهم قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) ﴾ [النساء : ٦٦] . وأقول لك نحن بحاجة إلى من يقتبس من الآية ويقول لنا : ولو أنهم فعلوا ما يُعظُون به .

ونفس النتائج التي رتبها المولى جل وعلا على عمل الموعوظ إذا عمل ، يرتبها على عمل الواعظ إذا عمل بوعظه فما الواعظ إلا موعوظ في حقيقة أمره لأنه مكلف وليس في غِنى عن العمل الصالح .

قال الله تعالى في بيان نتائج فعل وتطبيق ما يسمع الناس من الوعظ :

- ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء : ٦٦] .
- ﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) ﴾ [النساء : ٦٧] .
- ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) ﴾ [النساء : ٦٨] .

وأذكرك ونفسي بقول غنيم بن قيس رضي الله عنه قال :

(كنا نتواعظ في أول الإسلام : ابن ادم اعمل في فراغك لشغلك وفي شبابك لهرمك ، وفي صحتك لمرضك ، وفي دنياك لآخرتك وفي حياتك لموتك) [١] .

---

(١) اقتضاء العلم العمل ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

فلنتواعظ نحن الآن ـ سواء كنا في وسط الإسلام أو آخره ـ ، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وأسال الله تعالى أن يرزقنا صدق القول والعمل ، وأن يعيذنا من سر يخالف العلن، وأن يردنا إلى دينه مرداً جميلاً ، وأن يوفقنا جميعاً إلى ما يحب ويرضى ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنه المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه الراجي عفو الرحمن
حماد علي عبد السميع حسين
دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

المراجـــع

[١] القرآن الكريم ، جلَّ من أنزله .

[٢] أحكام القرآن : لابن العربى المالكى - ط دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت

[٣] إحياء علوم الدين : لأبى حامد الغزالى - ط دار الإيمان - المنصورة .

[٤] أسباب النزول : لعلى بن أحمد الواحدى - ط دار الحديث - القاهرة ١٤١٦هـ.

[٥] إصلاح المجتمع(شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه البخارى ومسلم) للشيخ / محمد بن سالم البيحانى - ط دار القلم - بيروت ١٤٠٣هـ.

[٦] أصول الدعوة : د / عبد الكريم زيدان - ط دار عمر بن الخطاب - الإسكندرية .

[٧] الأدب الصغير : لابن المقفع - ط جمعية العروة الوثقى - الإسكندرية ١٩١١م .

[٨] اقتضاء العلم العمل - للخطيب البغدادى - ط المكتب الإسلامى - بيروت ١٩٨٤م بتحقيق وتخريج الشيخ ناصر الدين الألباني .

[٩] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط دار العلوم الإسلامية - القاهره ١٤٠٩هـ.

[١٠] الترغيب والترهيب - للحافظ المنذرى - دار الشعب - القاهرة .

[١١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للشيخ السعدي - ط دار ابن حزم - بيروت ١٤٢٤هـ.

[١٢] الحسبة في الماضي والحاضر - لعلى بن حسن القرنى - ط مكتبة الرشد - الرياض.

[١٣] الخطابة في موكب الدعوة والدعاة - د/ محمود محمد عمارة - ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة.

[١٤] الزواجر عن اقتراف الكبائر - لابن حجر الهيثمى - ط دارالشعب - القاهرة ١٩٨٠م.

[١٥] الفوائد - للإمام ابن القيم - ط دار الدعوة القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

[١٦] الكبائر: للإمام الذهبي - ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

[١٧] بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروز آبادى - ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ١٤٢١هـ.

[١٨] تفسير القرآن العظيم - للإمام ابن كثير - ط دار الإيمان - المنصورة ١٤١٧هـ.

[١٩] رياض الصالحين - للإمام النووي - ط دار التراث العربى - القاهرة ١٩٨٣م.

[٢٠] المعاني - لمحمود شكري الآلوسى - ط دار الفكر - بيروت ر١٩٩٧

[٢١] صحيح الترغيب والترهيب - للشيخ/ محمد ناصر الدين الألبانى - ط مكتبة المعارف - الرياض.

[٢٢] صحيح مسلم بشرح النووى ـ للإمام النووى ـ ط دار إحياء التراث العربى ـ القاهرة .

[٢٣] في ظلال القران ـ لسيد قطب ـ ط دار الشروق ـ القاهرة ١٤٠٧هـ.

[٢٤] جامع البيان في تأويل القرآن ـ للإمام ابن جرير الطبرى ـ ط دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ.

[٢٥] في رحاب التفسير ـ للشيخ/ عبد الحميد كشك ـ ط المكتب المصرى الحديث ـ القاهرة.

[٢٦] مفاتح الغيب ـ لفخرالدين الرازى ـ ط دار الفكر ـ بيروت١٩٩٥م.

[٢٧] مُسند الإمام أحمد ـ للإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ـ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٤م.

[٢٨] صحيح البخاري بشرح ابن حجر ـ للحافظ ابن حجر ـ ط دار الحديث القاهرة ١٩٩٨م.

[٢٩] سُنن الدارمى ـ للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمى ـ ط دار المغنى ـ الرياض ٢٠٠٠م بتحقيق حسين سليم أسد الدارانى.

[٣٠] هداية المرشدين ـ للشيخ/ على محفوظ ، ط.دار الإعتصام ـ القاهرة .

[٣١] مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة) للشيخ/ محمد الغزالى ـ ط دار الكتب الإسلاميه القاهرة ١٩٨٥م.

[٣٢] الجامع لأحكام القرآن ـ للإمام القرطبى ـ ط دار الكتاب العربى ١٩٦٧م.

[٣٣] ليس من الإسلام ـ للشيخ/ محمد الغزالى ـ ط دار الشروق ـ الطبعة السادسة.

[٣٤] المعجم الوجيز ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة .

[٣٥] مجلة الأزهر ـ عدد شعبان ١٤١٥هـ.

[٣٦] مجلة الأزهر ـ عدد ذي الحجة ١٤١٥هـ.

[٣٧] مجلة الأزهر ـ عدد ذي الحجة ١٤٢١هـ.

[٣٨] موارد الظمآن لدروس الزمان ـ للشيخ / عبد العزيز المحمد السلمان ـ ط مطابع المدينة ـ بالرياض ـ الطبعة السادسه والعشرون .

[٣٩] من أخلاق الداعية ، للشيخ / سلمان فهد العودة ـ مطبعة سفير ـ الرياض .

[٤٠] تأملات في سيرة الرسول ﷺ ـ د / محمد السيد الوكيل ـ ط دار المجتمع ـ الأولى ١٩٨٧م .

[٤١] السيرة النبوية ـ عرض وقائع وتحليل أحداث ـ د / محمد على الصلابى ـ ط دار الإيمان ـ الإسكندرية .

[٤٢] كيف ندعو الناس : للشيخ / محمد قطب ـ دار الشروق القاهرة ـ الطبعة الثانية ٢٠٠١م .

[٤٣] الرسول القائد : اللواء / محمود شبت خطاب ـ مكتبة الحياة بيروت .

[٤٤] تفسير ابن رجب الحنبلى : جمع وترتيب / طارق بن عوض الله بن محمد ـ ط دار العاصمة ـ الرياض ٢٠٠١م .

[٤٥] فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ للحافظ ابن حجر ـ ط دار الحديث القاهرة ـ ١٩٩٨م .

[٤٦] القصيدة النونية :لابن القيم ـ ط المكتبة الإسلامية ـ القاهرة ٢٠٠١م .

[٤٧] مشكاة المصابيح ـ للخطيب التبزيزي ـ ط المكتب الإسلامي بيروت ١٩٦١م.

[٤٨] صور من حياة النبي ﷺ ، لأمين دويدار ـ ط دار المعارف القاهرة.

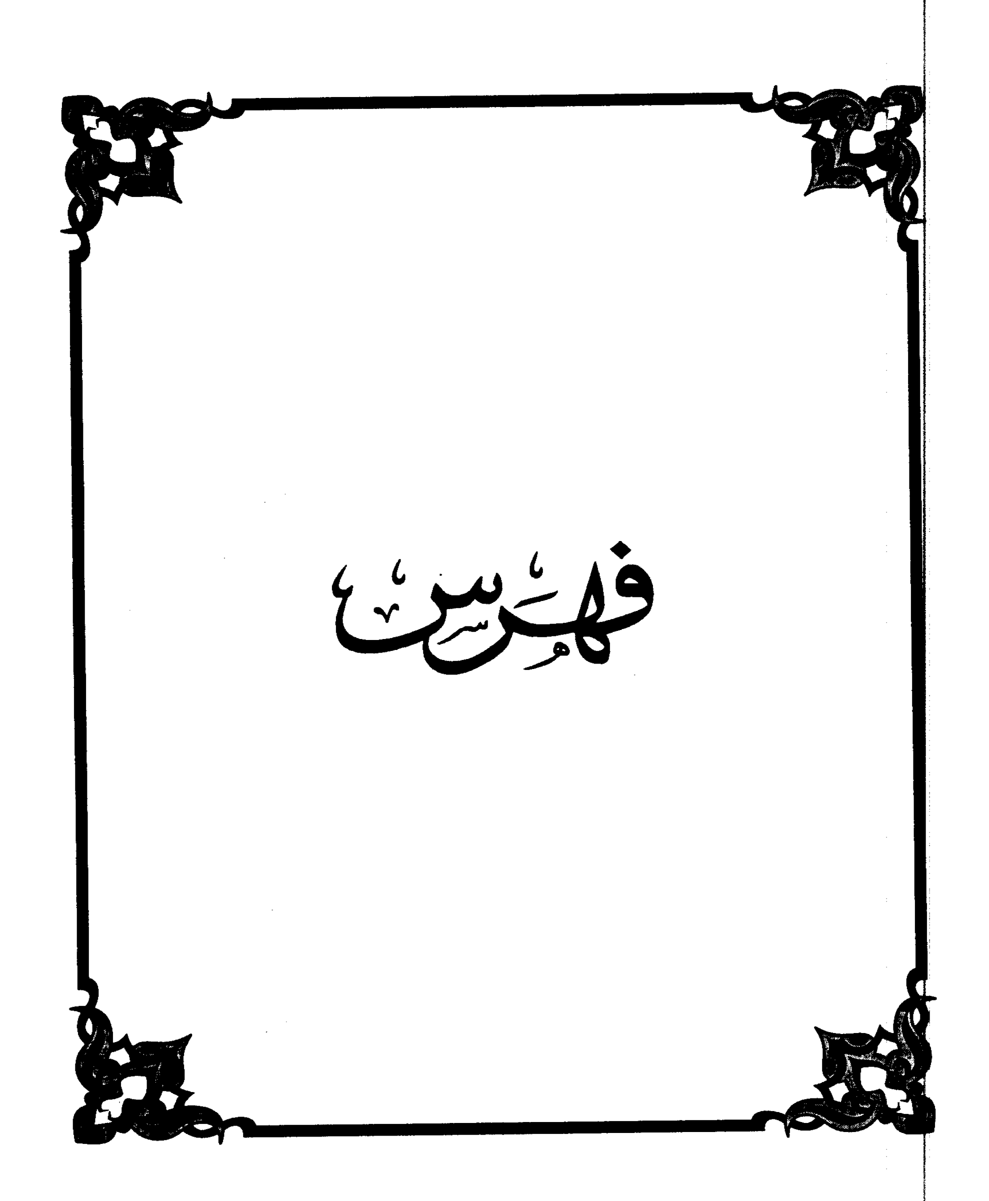
[٤٩] السيرة النبوية : لابن هشام ـ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠١م .

[٥٠] تدريس الدراسات القرآنية والإسلامية للدكتور حسن أبو الهيجا ـ ط دار المناهج الأردن ط ـ الثانية ٢٠٠٢ .

[٥١] منهج التلقي والاستدلال بين أهل السُّنَّة والمبتدعة / أحمد عبد الرحمن الصويان ـ ط المنتدى الإسلامي الرياض ٢٠٠١ .

[٥٢] تاريخ الفقه الإسلامي دكتور عمر سلميان الأشقر ـ ط دار النفائس الأردن ٢٠٠١ .




فهرس

فهرس

رقم الصفحة



من أحدث مطبوعات دار الإيمان

كيف نحيا بالقرآن؟

القرآن مؤهل لا تثبت أمامه مؤهلات

تأليف الدكتور

عماد علي عبد السميع حسين

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

التيسير
في أصول واتجاهات التفسير

تأليف الدكتور

عماد علي عبد السميع حسين

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية







فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠